



N° :

الرقم:

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص تحليل خطاب)

استدعاء الشخصيات التاريخية في رواية "يوسف بلا إخوته" لإبراهيم الكوني

—سيمائية فيليب هامون أنموذجا—

مقدمة من قبل:

أمال زدوري

تاريخ المناقشة : 2015/06/21

أ/السعيد مومني	رئيسا	الرتبة: أستاذ مساعد أ	الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة
د/وردة معلم	مقررا	الرتبة: أستاذ محاضر أ	الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة
أ/راوية شاوي	ممتحنا	الرتبة: أستاذ مساعد أ	الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة

كلمة شكر

أولاً أحمد الله تعالى وأشكره على نعمه وحسن عونه،

وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه.

أتقدم ببالغ الامتنان وجزيل العرفان إلى من وجهني وعلمني وأخذ بيدي في
سبيل إنجاز هذا البحث، وأخص بذلك

الأستاذة الزهرة بوشبوط

الأستاذة المشرفة: وردة معلم

وإلى أعضاء لجنة المناقشة

الذين تكرموا بقراءة هذا البحث المتواضع وإثرائه بملاحظاتهم وتقويمه،

وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

أمال

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي هذا العمل إلى كل من كان عوناً لي في إنجازه من قريب أو بعيد.

إلى أهلي كبيراً وصغيراً

إلى الأستاذة المشرفة وردة معلم

إلى الأستاذة الكريمة راوية شاوي.

وإلى زميلاتي

إلى كل من سيستفيد من هذا العمل

هذه الفكرة من بحر المعرفة.

أمال

عرفت الرواية منذ ظهورها تطورا وتنوعا كبيرا، واختلفت أنواع الروايات باختلاف مواضيعها، وتعد الرواية التاريخية أحد هذه الأنواع وجاءت في ظروف عصيبة مرّ بها الإنسان منذ حملة نابليون على مصر، والتي تزامنت مع ظهور الرواية التاريخية، واختار هؤلاء الكتاب هذا النوع الروائي للهروب من الواقع المرير الذي تعيشه بلدانهم، فنجدهم يختارون أحداثا وأزمنة وأمكنة وشخصيات تاريخية معينة ليقيموا عليها رواياتهم في محاولة لإعادة إحياء المآثر التي عاشتها بلدانهم في زمن الماضي.

ونلاحظ في المقابل ظهور أعمال نقدية كثيرة اختلفت باختلاف الجوانب التي تناولتها، وباختلاف النقد، فعملت على تحليل الرواية من أجل الكشف عن المعنى الذي أرق القراء قبل النقد والمنظرين، ونخص بالذكر الأعمال التي اهتمت بالشخصية فنجد "فلاديمير بروب" الذي كان اهتمامه الأكبر بوظائف الشخصيات والذي أسند إليها سبعة أدوار للفعل تمثل الشخصيات، وعمل "غريغاس" الذي استلهم نموذج العامل من "سوربو" و"تينير"، وغيرهما من المنظرين والنقاد كـ "فيليب هامون"، ويرجع الاهتمام بالشخصية إلى الدور الفعال الذي يقوم به هذا العنصر المهم في الرواية، كما يرجع أيضا إلى قلة ما نعرفه عن الشخصيات الروائية بصفة عامة والشخصيات التاريخية في الرواية بصفة خاصة، لذا اخترنا لدراستنا هذه عنوان «استدعاء الشخصيات التاريخية في رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني - سيميائية فيليب هامون أنموذجا-»، من أجل الكشف عن الكيفية التي استدعى بها الروائي شخصياته من التاريخ الليبي العريق، وكيفية توظيفها، وللتمكن من ذلك حددنا بعض التساؤلات التي ستساعدنا في تثبيت خطانا لإنجاز هذا البحث ومنها:

- 1- ما هي علاقة الرواية بالتاريخ؟
 - 2- ما المقصود بالرواية التاريخية وأسباب نشأتها وأهدافها؟
 - 3- ما هو مدلول ودال شخصيات رواية "يوسف بلا أخوته" حسب منهج "فيليب هامون"؟
- أما عن أسباب اختيارنا الموضوع فتعود إلى:

رغبنا في التعرف أكثر على الشخصية الروائية التي لا زالت غامضة رغم عمليات التنظير والنقد التي خضعت لها، والتعرف على الشخصيات التاريخية التي استدعاها الراوي أكثر، فضلاً عن التعرف على جزء من التاريخ الليبي الذي لولا هذا البحث لما تمكنا من معرفته.

وإلى قلة الدراسات الجامعية التي تناولت هذا الموضوع أي الشخصيات التاريخية من جهة، ورواية "يوسف بلا أخوته" من جهة أخرى فضلاً عن توظيف منهج "فيليب هامون".

ويبقى الهدف من الدراسة هو التعرف على كيفية توظيف إبراهيم الكوني للشخصيات التاريخية في رواية "يوسف بلا أخوته"، ثم توضيح أهمية منهج فيليب هامون في تحليل شخصيات هذه الرواية. ودفعنا هذه التساؤلات والأسباب والأهداف التي نسعى إلى تحقيقها إلى تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: مدخل: عنوانه ب «الرواية والتاريخ» وتناولنا فيه علاقة الرواية بالتاريخ، وقمنا بتحديد مفهوم الرواية التاريخية وأسباب نشأتها وأدوات توظيف الرواية التاريخ والهدف منه.

ثانياً: الفصل الأول: وعنوانه «مدلول الشخصية في رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني»، وأثبتنا فيه مرجعية وتاريخية شخصيات الرواية، ثم قسمنا الشخصيات إلى شخصيات مرجعية واستذكارية وتكرارية حسب تقسيم "فيليب هامون"، وحددنا مواصفات ووظائف الشخصيات.

ثالثاً: الفصل الثاني: وعنوانه «دال الشخصية في رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني»، وخصصنا اسم العلم الشخصي لبعض شخصيات الرواية بالتحليل كشخصية "يوسف القرماني"، و"نابليون بونابرت"...، وحاولنا تحديد شخصية البطل من خلال تحديد المواصفات الخلافية والتوزيع الخلافي، والتحديد العرفي المسبق ومن خلال تعليقات الشخصيات بعضها عن بعض.

واعتمدنا في بحثنا على المنهج السيميائي محددًا في سيميولوجية الشخصيات الروائية حسب "فيليب هامون"، والذي يعد المنهج الأنسب لدراسة الشخصيات وخاصة الشخصيات التاريخية، واستندنا على مناهج أخرى ساعدتنا في البحث كالمناهج التحليلي الوصفي.

واعترضنا في سبيل إنجاز هذا البحث عدة صعوبات منها صعوبة العثور على بعض المراجع إما لكثرة طالبيها من الباحثين أو لانعدامها من المكتبات، ولكننا تجاوزناها بفضل الله تعالى وبفضل

الأستاذة المشرفة، ومن بين المراجع التي حصلنا عليها واعتمدناها في بحثنا كتاب "سيمولوجية الشخصيات الروائية"، لـ"فيليب هامون"، وكتاب "بين الرواية والتاريخ" لـ"قاسم عبده قاسم" وغيرهما من الكتب التي أثرتنا بها بحثنا.

وأنجزنا هذا البحث وحسبنا منه أن يكون ما توصلنا إليه ذخيرة لغيرنا، وعند الأساتذة الكرام شكرنا، وعند الله تعالى أجرنا.

مدخل:

الرواية والتاريخ

I _ العلاقة بين الرواية والتاريخ:

تلتقي الرواية مع التاريخ في عدة نقاط لا يمكن تجاهلها، كونها تمكننا من معرفة الحدود الفاصلة بينهما، وما يمكن أن يقدمه أحدهما للآخر، وكيفية ذلك، لذا يتوجب علينا أن نقف أمام هذه النقاط ونعمل على تحديدها وشرحها حتى نتمكن من معرفة العلاقة بين الرواية والتاريخ، ويمكن حصر هذه العلاقة في ثلاث حدود هي: علاقة الرواية بالتاريخ من حيث النشأة والموضوع، والهدف.

1 _ من حيث النشأة:

يعد الأدب همزة وصل بين الرواية والتاريخ فيما يخص النشأة، كون الرواية نوعا أدبيا تقرر بمدلوله الحديث في القرن السابع عشر، بعد تخطيه عدة حقبة زمنية¹، ما أدى إلى اعتبار الرواية ككيان لا يملك وجودا طبيعيا أو إيجابيا لأنه: «يظهر ثم يعاود الظهور في ثقافات محلية مختلفة وفي أزمان مختلفة»²، ما جعل البعض يصفها بالشذوذ لأنها تأخذ من الشعر والمسرحية، والقصة القصيرة ما يوافق شروطها وأهدافها، و«أصبحت الرواية الحديثة بفضل الكولاج تستثمر كثيرا من النصوص من أجناس خطائية، مختلفة»³، وكل طرائق القول والفعل، وحتى الانتقادات الموجهة لها والنظريات التي تحاول فرض نفسها عليها سواء كانت ملائمة لها أم لا⁴.

وظل كرسي التاريخ ملحقا بالأدب في جامعات أوروبا، إلى نهاية القرن التاسع عشر، حيث كان يعتبر التاريخ «فنا من الفنون أو فرعا من الأدب»⁵، يلحق كموضوع من مواضيع الأدب، وأسهم

¹ - بيير شارتييه، مدخل إلى نظريات الرواية، تر: عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2001م، ص 37.

² - والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، تر: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 1998م، ص 57.

³ - بهاء الدين محمد مزيد، زمن الرواية العربية، مقدمات وإشكالات وتطبيقات، الشارقة دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، ط 1، 2001م، ص 16.

⁴ - بيير شارتييه، مدخل إلى نظريات الرواية، ص 14.

⁵ - فاطمة قدور الشامي، علم التاريخ تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م، ص 76.

التاريخ بشكل كبير في تقسيم الأدب إلى عصور تاريخية، كون الأدب مرآة يعكس العصر الذي أنتج فيه، فقليل قديماً أن «الشعر ديوان العرب»¹، لأنه يصور تاريخهم الحافل بالمآثر والنكبات، وينطبق هذا القول على الملاحم القديمة (الإلياذة، الأوديسا "لهورميروس")، فانطلاقاً من هذه الملاحم يمكن لدراس الحضارة والمؤرخ أن يتعرف على الاتجاهات العامة للأوضاع التي أنتجتهم.

ويذهب البعض اليوم للقول بأن: «الرواية هي ديوان الحياة المعاصرة»²، لأنها تحمل عبر صفحاتها الكثيرة وفصولها كل ما يتعلق بالحياة من سمات وخصائص، بما فيها من تاريخ خاص أو عام قدّم أو حديث، ويؤكد ذلك الأخوان "غونكور" بقولهما أن: «التاريخ هو رواية كانت والرواية هي التاريخ الذي كان بإمكانه أن يكون»³، ويرجع هذا التقارب بين الرواية والتاريخ إلى دور كل من الروائي والمؤرخ، والمتمثل في حكاية "ما حدث؟".

ويبقى الإشكال في الكيفية التي يحكي بها كل من الروائي والمؤرخ إلى "ما حدث؟"، فنجد أن الروائي يجنح أكثر من المؤرخ في الاعتماد على الخيال فنجد ينسب صفات وأفعال لا معقولة لشخصيات تاريخية معينة، بينما يستند المؤرخ للمنطق والعقلانية في نسب نفس الأشياء لنفس الأشخاص الذين يكتنف الغموض الأخبار التي وردت عنهم، فالمؤرخ لا يستعين بالخيال إلا لملء الفراغ والنقص الذي يعتري بعض الأحداث والشخصيات أو العصور.

ويلجأ بعض الروائيين للتاريخ ليكون بمثابة «المادة الخام»⁴ لرواياتهم، ويعدد "عبد الله إبراهيم" بعض هؤلاء الروائيين مثل واسيني الأعرج، وجمال الغيطاني، كما «يمكن أن نعدد تجارب كثيرة في لبنان، والجزائر، والسودان، وليبيا، ففي الأخير تقوم روايات إبراهيم الكوني على خلفية تاريخية...»⁵،

¹ - شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ص 146.

² - أحمد فضل شبلول، الحياة في الرواية العربية، قراءات في الرواية العربية والمترجمة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص 5.

³ - فيصل دراج، نظرية الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2002م، ص 170.

⁴ - قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2007م، ص 16.

تاريخية...»¹، ونخص بالذكر ابراهيم الكوني لأننا سنعمل على تحليل إحدى رواياته الموسومة بـ "يوسف بلا أخوته" من أجل الكشف عن بعض الخلفيات التاريخية المتعلقة بشخصيات هذه الرواية. ونجد "فرانسوا ليونار" يسم أعمال المؤرخين الألمان والبريطانيين ثم الروس، الذين نقبوا عن جذور تواريخ شعوبهم في تواريخ الإغريق والرومان «بالسرديات الكبرى»²، لما تحويه من سرد لبطولات أمهم ومآسيها.

فلنلاحظ أن نشأة الرواية جاءت قبل استقلال التاريخ عن حقل الأدب بزمان غير بعيد فرسّمت لنفسها مكانة بين باقي فنون الأدب، بيد أن التاريخ رغم محاولة تحرره ظل إلى يومنا هذا يصنف ضمن إطار العلوم الإنسانية، ومازال إلى يومنا يكافح من أجل أن يصبح علما قائما بنفسه.

2- من حيث الموضوع:

تعد نشأة الرواية والتاريخ في كنف الأدب إحدى النقاط التي تلتقي فيها الرواية مع التاريخ، ويمثل الموضوع الذي يدرسه كل من الرواية والتاريخ والمتمثل في الإنسان نقطة أخرى تؤكد مدى قوة العلاقة بين الرواية والتاريخ، فلماذا الإنسان بحد ذاته؟.

يجيبنا "فروم" على هذا السؤال بالقول بأن: «الإنسان لم يصنعه التاريخ وحده لأن التاريخ من صنع الإنسان»³، وتتجسد هذه الصناعة في أخذ العبرة من الأمم الغابرة من جهة، والأثار التي خلفها الإنسان من جهة أخرى، فاعتبر التاريخ «سيرة الإنسان في الكون تحمل كل تجاربه، وكل آماله، وتطلعاته، وإنجازاته، وإحباطاته»⁴، ويعمل الإنسان الحاضر على استنكار كل هذا من أجل بناء حاضرة ومستقبله، بتجنب الأخطاء التي وقع فيها سابقوه وهذا لا يعني أن التاريخ يتكرر فليس في التاريخ ما يثبت أن نفس الأسباب تؤدي لنفس النتائج، ما جعل التاريخ لا يرقى إلى ركب العلوم التجريبية ويبقى ضمن إطار العلوم الإنسانية التي تمتاز بنسبيتها.

¹ - عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط 1، 2011، ص 224.

² - نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان ناشرون، لو نجمان، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 138.

³ - فاطمة قدور الشامي، علم التاريخ، ص 15.

⁴ - قاسم عبده قاسم، بين الرواية والتاريخ، ص 18.

ونعثر في التاريخ على شخصيات من كل الأنماط البشرية، يمكن للروائي أن يأخذ منها ما يشاء ويوظفها كما يشاء في عمله الفني، فنلمس في الرواية ما لمسناه في التاريخ، فالرواية من صنع الإنسان هذا الإنسان الذي خلق شخصوا (أناسا) وعالما خاصا سماه الرواية مستغلا التاريخ، وسأخذ رواية "يوسف بلا إخوته" لإبراهيم الكوني كأغودج ثبت من خلاله تاريخية الشخصيات التي وردت فيها، فكما "يختار المؤرخ" عينة "من محتوى هذا النهر [التاريخ] لتحليلها، يمكن للروائي أن "يعترف" من النهر ما شاء ليعيد تشكيله وفق شروط عمله الفني « فنكشف أن المؤرخ يتعامل مع "العينة" من أجل إثباتها أو نفيها، أما الروائي فمن أجل تحقيق الجمالية والصدق الفني لعمله.

وتشترك الرواية مع التاريخ في الأحداث والزمان والمكان فلا توجد رواية خالية من هذه العناصر فضلا عن الشخصيات، ومثل ذلك التاريخ، وتبقى طريقة التعامل مع هذه العناصر هي ما يميز عمل الروائي عن عمل المؤرخ لأن، "التاريخ معرفة، والرواية تحليل"¹ ونفهم من ذلك أن المؤرخ يعرفنا بالأدوات والشخصيات والزمان والمكان كما هي، أما الروائي فيتصرف فيها فهو « حر في رفض العقد المورثة والبدء بما يدعو "جيمس" "بذرة" مشهد أو شخصية يمكن أن يضاف إليها أي شيء ممكن التخيل»².

كأن يأخذ شخصية تاريخية كنبليون بونابرت ويلبسها ثياب العصر.

فنكشف أن الإنسان باعتباره مؤثرا في الرواية والتاريخ ومتأثرا بها، يبقى هو الوحيد المتحكم في أحداثهما داخل حدود الزمان والمكان، من خلال أخذ العبر من سير الأمم الغابرة وتوثيقها بطرق مختلفة تتلاءم مع طريقة تفكيره وعيشه.

¹ - عبد الرحمن بوعلي، الرواية العربية الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة المملكة المغربية، د ط، 2001م، ص 29.

² - والاس مرتن، نظريات السرد الحديث، تر: حياة جاسم محمد، ص 29.

3- من حيث الهدف:

تعرفنا على علاقة الرواية بالتاريخ من حيث النشأة والموضوع، وسنتعرف الآن على رابط آخر يوطد هذه العلاقة والمتمثل في هدف كلا منهما وهو: «السعي للإجابة عن الأسئلة المؤرقة التي يحملها الإنسان على كاهله، ويرصدان مسيرة الإنسان في الكون ومحاولة تفسيرها، رغم اختلاف أساليبيهما إلى ذلك»¹.

ويقصد من هذه الأسئلة السؤال عن أصل الإنسان ومآله والهدف من وجوده، فيستعمل الروائي خياله للإجابة عنها أما المؤرخ فيعتمد للبحث عن الآثار المادية التي من خلالها يمكنه إثبات فرضياته، ما يمكن الإنسان من معرفة ماضيه، ويكسب هذا التاريخ مكانة «مهمة في التربية وهو الذي يجعل للعلم قيمة، وهو ينمي العقل ومداركه [...] وتجاه النشاط الإنساني، [...]، والتاريخ لا يمكن أن نستغني عنه لمن يريد معرفة العالم كله بخباياه وظواهره وغرائب ما يحيط به»².

فيكون بذلك هدفه تربوي تعليمي، ولأن الرواية تستلهم من التاريخ الحديث أو القديم أحداثه وشخصياته وزمانه ومكانه، بالرغم من الطريقة التي تتعامل بها مع هذه الأحداث والشخصيات والزمان والمكان، فهدفها لا يعدو أن يحيل عن هدف التاريخ التربوي التعليمي.

نستنتج أن هدف التاريخ هو حماية ذاكرة الإنسان من النسيان والذي يعد أكبر مشكلة أرقّت الإنسان منذ فجر التاريخ، وجاءت الرواية في ثوب جديد تسعى لحماية هذه الذاكرة وتنبه الإنسان من خطر الوقوع في ما وقع فيه السلف.

وكخلاصة لا تعدو العلاقة بين الرواية والتاريخ أن يكون التاريخ مادة خام تستلهم الرواية منه أحداثها وشخصياتها وزمانها ومكانها، لتعيد صياغته في قالب جديد يخدم أهداف الراوي والعصر الذي يعيش فيه، وكأن الراوي يحاول إلغاء وجود المؤرخ ليعيد التاريخ إلى أحضان الأدب من جديد، وساعده في ذلك استخدام المؤرخ للخيال والاستشهاد بالشعر والنثر كآثار خلفها إنسان الماضي ليعبر عن وجوده وتجاربه في نهر الحياة.

¹ - قاسم عبد قاسم، بين الرواية والتاريخ، ص7.

² - فاطمة قدور الشامي، علم التاريخ، 157-158.

II _ الرواية التاريخية:

تنقسم الرواية من حيث النوع إلى عدة أنواع حسب موضوع كل منها، ويعود ذلك للتقاطع الحاصل في النصوص الروائية، من خلال دخول نص خارجي ضمن النص الأصلي، كون النص في حد ذاته نسيج لغوي تجتمع في ثناياه نصوص أخرى متغيرة المستويات، ومتعددة الأشكال، بين نصوص ثقافة سابقة ونصوص ثقافة راهنة¹، وتعد الرواية التاريخية أحد الأنواع الروائية التي اعتمدها الروائيون كوسيلة يستعملون بها التاريخ ليعبروا عن الراهن.

1- مفهوم الرواية التاريخية:

تعرف الرواية التاريخية بأنها: «سرد قصصي، يركز على وقائع تاريخية، تنسج حولها كتابات تحديثية ذات بعد إيهامي معرفي»²، يصنف هذا التعريف الرواية التاريخية كنوع من السرد والقص، تقوم على أحداث وقعت في الماضي، يسقطها الروائي على الحاضر المعاش، ليوهنا بأن الماضي يتكرر في الحاضر، ويؤكد على هذا أيضا "محمدي وهبة" و "كامل المهندس" إذ يعرفان الرواية التاريخية بأنها:

«سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل، وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معا»³، يزيد هذا التعريف الأول بربط الأحداث بالأشخاص مؤكدا على البعد الإيهامي أو الخيالي إلى جانب البعد الحقيقي للرواية التاريخية، فتصبح الرواية التاريخية بذلك مزيجا تجمع بين الحقيقة والخيال (التاريخ والرواية)، ونخص الذكر الروايات التي تجمع بين الشخصيات

والأحداث المبتكرة في عالم واحد يتسم بأنه تاريخي في نفس الوقت، ونعتبر الروايات التاريخية «نصا سرديا يؤكد تعايش أحداث وشخصيات تاريخية وأحداث وشخصيات مبتكرة في نفس العالم

¹ - فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغربية دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط1، 2010م، ص 17.

² - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 103.

³ - محمدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان-بيروت، ط2، 1984، ص 184.

المتعلق بالتتابع التاريخي الصرف للأحداث»¹، ونلمس هذا التتابع التاريخي في روايات إبراهيم الكوني كرويات "يعقوب وأبنائه" و "قاييل أين أخوك هابيل؟" و "يوسف بلا إخوته" والتي تدور أحداثها حول «شخصية يوسف باشا القرمانلي، الذي استطاع السيطرة على المملكة الطرابلسية بعد أن قتل أخاه حسن بك وأبعد أخاه أحمد عن العرش»².

ويختلف النقاد العرب كسعيد يقطين، وعبد الله إبراهيم وسمر روجي الفيصل في وضع مصطلح مغاير للرواية التاريخية، لأن هذا المصطلح في رأيهم لا يتوافق مع المفهوم أو المدلول الذي تحيل عليه، فيقترح سعيد يقطين مصطلح "الحقبة الزمانية" لأنه «لا يحيل فقط إلى زمن وقوع الحدث (التاريخ) وزمن كتابته، وإنما يسمح كذلك بالانفتاح على زمان القراءة العام»³، ويعرف أن زمن القراءة غير محدد بل لا متناهي، ويحدده زمن الكتابة كنقطة بداية ويرتبط بزمن وقوع الحدث (قديم أو حديث).

ويفضل عبد الله إبراهيم استعمال مصطلح "التخيل السردى" كبديل للرواية التاريخية، لأنه في رأيه «يدفع بالكتابة السردية التاريخية إلى تخطي مشكلة الأنواع الأدبية ووظائفها، ثم إنه يفكك ثنائية التاريخ والرواية، ويعد دمجها في هوية سردية جديدة ولا يرهن نفسه لأي منهما»⁴، فيكون بذلك أكثر تحديدا لهذا النوع الأدبي (الرواية التاريخية).

ويجذب سمر روجي الفيصل استعمال عبارة «لعبة الرواية، ذوبان التاريخ»⁵، ويعود ذلك إلى أن كون الرواية تأخذ ما تشاء من التاريخ وتوظفه كما تشاء وسهل ذوبان التاريخ في الرواية مهمة الروائي في

¹ - كاترينا ميليتش، تغيرات التاريخ أو كتاب الضحك والنسيان، تر: أمل الصبان، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 67/ صيف-خريف، 2005م، ص 200.

² - وليد بن حمد الذهلي، جمالية الصحراء في الرواية العربية، إبراهيم الكوني أمودجا، دار جرير للنشر والتوزيع، ط 1، 2013، ص 58.

³ - إدريس الخضراوي، التخيل ومفارقات الهوية في كتاب الأمير، لواسيني الأعرج، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 71/ صيف خريف 2007، 258.

⁴ - عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، ص 216.

⁵ - سمر روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، مصر، د ط، 2003م، ص 66.

توظيف الأحداث والشخصيات التاريخية كما فعل إبراهيم الكوني وغيره في رواياته وخاصة رواية "يوسف بلا إخوته" التي سنأخذ بعض شخصياتها لنكشف الطريقة التي استدعى بها الروائي هذه الشخصيات.

يتضح من التعاريف التي اخترناها للرواية التاريخية أن هناك اتفاقاً حول المفهوم الذي يمزج بين الماضي والحاضر وبين الحقيقة كتاريخ والخيال كرواية في عمل إبداعي فني، اختلف النقاد حول تسميته وإفراد مصطلح خاص به بالرغم من شيوع مصطلح "الرواية التاريخية" والذي يعيبه معظم النقاد.

2_نشأة الرواية التاريخية:

يؤرخ كتاب "الرواية التاريخية" لـ "جورج لوكاش" لميلاد الرواية التاريخية بـ "مطلع القرن التاسع عشر، وذلك زمن انهيار نابليون تقريباً، إذ ظهرت رواية «سكوت ويفرلي عام 1814»¹، وهدف "سكوت" من كتابته هذه «إحياء العصر التاريخي أكثر مما يقصد إلى إحياء الشخصيات التاريخية بأسمائها وحوادثها المعروفة»²، وسارت الرواية العربية على نهجه فتطورت بشكل صعب وشاق، «فكانت بدايتها الأولى ترجمة، فاقتباساً، فتقليداً، فابتكاراً، وذلك حين بدأ رواد النهضة العربية يعتمدون على أنفسهم في تأليف الروايات وإنشائها في معمار فني جديد عبر عن الأزمة الحضارية التي يحياها العرب تحت وطأة الاحتلال الأجنبي الظالم»³.

فقد أدى الاحتلال الأجنبي الذي بدأ بـ "حملة نابليون بونابرت" على مصر أواخر 1798م، ثم على المشرق العربي ثانياً...⁴، فجاءت الرواية التاريخية العربية متأثرة بشكل كبير ميلاد نظيرتها في الغرب الذي عانى من الاحتلال الأجنبي خاصة فرنسا وإنجلترا، فنجد معظم كتاب العرب للرواية التاريخية أمثال جورجى زيدان، ونجيب محفوظ، وأمين معلوف وغيرهم يلجؤون للتاريخ وأجداد أسلافهم

¹ - جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط 2، 1986م، ص 11.

² - محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي والمقارن، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، مصر، د.ط، د.ت، ص 18.

³ - نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، جنس أدبي جديد في الأدب العربي، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ع 23، جوان 2005، ص 128.

⁴ - المرجع نفسه، ص 119.

هروباً من الواقع المتأزم الذي تحياه الشعوب العربية والذي أعجز «الذات الجماعية عن مواجهة الواقع وقررت الهروب إلى الماضي بأبعاده والتعلق بذكرياتها»¹.

فاختارت من التاريخ ما يوافقها ويناسبها من الأحداث والشخصيات والعصور والأماكن وتفننت في الكيفية التي أخرجته فيها من جديد.

وأثرت الظروف السياسية التي عانت منها الشعوب المستعمرة في باقي النواحي الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، فكان توجهها للتاريخ ومآثره السبيل الوحيد للهروب من الدمار والحرب الذي تعيشه، فاختار كتابها دمج التاريخ في الرواية فظهر جنس أدبي جديد سمي "الرواية التاريخية".

وأدى بروز الوعي بالحاضر إلى الاهتمام بالتاريخ بوصفه خلفية الحاضر، ويبرز هذا الوعي بشدة في أعمال الرومانسيين «الذين يبحثون دائماً في التاريخ عن ذكريات وتشبيهات، مستمدين قوتهم من مثل عليا يؤمنون بتحقيقها في الماضي»²، وتمثل هذه المثل في الانتصارات التي أدت إلى قيام دول مقابل الانهزامات التي سحقت دول أخرى، فنشأ بفضلهم جنس أدبي جديد هو "القصة التاريخية" والتي تطورت فأخذت شكل الرواية التاريخية، فعندما تتعلق المسألة بالهيمنة «يري إدراك التاريخ بوصفه تاريخاً على نحو أكثر حسية»³.

ولا نجد هذه الحسية إلا في الأعمال الفنية عامة والروائية بصفة خاصة، لأن كتب التاريخ تسعى للتخلص من هذه الحسية إلى التجريدية من أجل تحقيق العلمية والموضوعية التي لا تتحلى بها بعض الأعمال الروائية.

فأسهمت اليقظة بالحس القومي الذي اجتاحت العالم العربي، ومعه شعور وفهم التاريخ في ظهور كاتب كـ "جورجي زيدان" الذي سافر عبر العصور الإسلامية ليقطف لنا أروع القصص والحكايات التي ضمنها رواياته التي تتسم بالتاريخية بالرغم من تخلل بعض الأحداث غير التاريخية معظم أعماله الروائية.

¹ - شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص 153.

² - نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص 130.

³ - جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، ص 14.

ودفع الصراع الحاد الذي شهدته الأمة العربية في فترات الاستعمار الروائيين للتوجه إلى السجل التاريخي ليكون نقطة انطلاق جديدة للأمة العربية، وفي ظل هذه الظروف ولدت طريقة جديدة في كتابة التاريخ يمكن أن نعتبرها منطقة وسطى بين التاريخ والأدب، يؤلف بينهما أن كلا منهما خطاب سردي، وعرفت هذه الطريقة الجديدة باسم "الرواية التاريخية".

ويكون بذلك السبب لميلاد "الرواية التاريخية" هو الاحتلال الأجنبي عند الغرب أولاً ثم العرب ثانياً، وأثر هذا الاحتلال في جميع جوانب الحياة التي أصبحت بسبب الحروب جحيماً، فلم يستطيع الإنسان الذي عاصر هذه الأزمة مواجهة مرارة الواقع فراح يحفر في ذكريات الأمة عن أجداد وحضارات الأمم السابقة التي مرت على ما يسميه موطنه.

3_ أدوات توظيف الرواية للتاريخ:

جاء ميلاد الرواية التاريخية نتيجة الأزمة الحضارية التي عاشتها دول الغرب والعرب تحت وطأة الاحتلال، وسعي الإنسان للعرب من جحيم واقعة، فنجدته يختار عصراً من العصور، أو شخصية من الشخصيات أو حتى مكاناً وأحداثاً مضت من نهر التاريخ لينسى واقعة المتأزم.

ويعد الخيال هو الملكة الإنسانية التي يسافر بها الإنسان من عصر إلى عصر ليحيا في أجداد وبطولات الأمم الغابرة، ويخلف عالماً خاصاً به عالم الرواية «لأن الرواية في حد ذاتها شكل تخيلي وإبداعي، كما أن استدعاء المادة التاريخية شيء، وتقديمها شيء آخر فحين تبدأ الرواية ينتهي التاريخ»¹.

لأن الرواية تأخذ من التاريخ عينات معينة وتزيد عليها أشياء وتحذف منها أشياء أخرى حسب غرض الروائي، وينجم عن استيعاب النص الروائي للسياق التاريخي إمكانية الوعي بالتاريخ كمادة مرجعية بالنسبة للرواية تقوم على حوادث واقعية قادرة على فهم الحاضر، فتكون بذلك الرواية تكميلاً للتاريخ في جوانبه الناقصة، فنجد أن الروائي المؤرخ «لا يكتفي بتقرير الحقيقة التاريخية كما هي، وإنما يوضحها ويزيدها رونقاً من آداب العصر وأخلاق أهله وعاداتهم، حتى يخيل للقارئ أنه عاصر أبطال

¹ - سمر روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا، ص 63-64.

الرواية، وعاشرهم وشهد مجالسهم ومواكبها واحتفالاتهم»¹، ويتطلب عملاً كهذا نوعاً من الثقافة وأسلوب أدبي هادئ، وهو ما يشترطه فيليب هامون للتعرف على الشخصيات المرجعية التاريخية في قراءة أي عمل أدبي لأي كاتب.

وتختلف طريقة توظيف الروائي للتاريخ في أعماله أو من عمل لآخر حسب الظروف المحيطة به، فنجد «فولتير» و«ديدرو» يختارون أحداثاً خيالية بوهمون القراء بحدوثها أو حدوث مثل لها»²، ويتخذ «فيلدنغ» «مكان الفعل وزمانه طابعاً تفصيلياً ملموساً في الأشخاص والأحداث، ونرى عند «وولت سكوت» الأحداث المؤثرة هي تحويل وجود الناس ووعيهم في أرجاء أوروبا»³.

ونلاحظ على أعمال «جورجي زيدان» أنه يضيف بعض الأحداث غير التاريخية التي جعلت من البعض يعتبر أعماله خارجة عن الرواية التاريخية، ويعلق «جورجي زيدان» على رواياته وطريقة توظيفه للتاريخ فيها بقوله: «وأما نحن فالعمدة في رواياتنا على التاريخ، وإنما نأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين، فتبقى الحوادث على حالها، ندمج فيها قصة غرامية، تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها...»⁴.

ويحدد «بيير باريس» ثلاث معاني لاستحضار التاريخ وهي:⁵

- 1_ الوقائع والأحداث التي تكون فترة تاريخية ما.
- 2_ الفرع المعرفي الذي يدرس الوقائع التي ينتقياها.
- 3_ الحكاية المتضمنة في الأعمال الأدبية التي تطرق ذلك التاريخ الذي لا يقوله إلا الأديب.

¹ - محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي والمقارن، ص 34-35.

² - محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج 1، ط 2، 1999، ص 422.

³ - إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، صفاقس، تونس، د.ط، د.ت، ص 178.

⁴ - عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2003م، ص 240.

⁵ - بهاء الدين محمد مزيد، زمن الرواية العربية، ص 89-90.

وبعني هذا أن طرق توظيف التاريخ في الرواية تتضمن المعرف الواسعة بالتاريخ وأحداثه ووقائعه من طرف كل من الروائي والقارئ الذي يقرأ العمل الروائي، ويتم بعد ذلك تحديد الفرع المعرفي الذي يهتم بدراسة العينات التي اختارها الروائي (أحداث، شخصيات، زمان، مكان)، ويشمل كذلك كل الأعمال الأدبية التي كتبت حول تلك الأحداث والوقائع.

ونخص إلى أن الروائي يقوم باختيار العينة التي يريد من نهر التاريخ ليضمها حكايته الخاصة والتي قام بنسجها خياله الخصب، ليعيد كتابة التاريخ في قالب جديد من جهة، ويحقق الفائدة العامة من جهة أخرى بترغيب الناس في قراءته.

4_الهدف من توظيف الرواية للتاريخ:

حددت لنا نشأة الرواية التاريخية الأسباب التي أدت إلى ميلاد هذا النوع الروائي الجديد، وسنكشف في حديثنا هذا عن الأهداف التي أسمعت بشكل خفي في ميلاد الرواية التاريخية.

تعدد الأهداف من توظيف الرواية للتاريخ حسب كل روائي، ويعتبر الهدف الأول الذي دفع الروائيين لكتابة الرواية التاريخية هو إيجاد طريقة جديدة لكتابة التاريخ، هذا التاريخ الذي حاول الاحتلال طمسه، وأيضاً طريقة المؤرخين في كتابته التي بثت الملل في نفوس القراء، فجاءت محاولة إحياء الماضي بأسلوب جديد، بدافع الاعتزاز بالكرامة في هذه المرحلة، ولتكون باعثاً للشعوب من الجُمود الفكري الذي عاشته زمن الاستبداد والقهر، إنه «الإحساس يستيقظ ويعتز بالانتساب إلى الآباء والأجداد، نفخر بهم، وبماض تباهي به وأمجاد نغنيها»¹، فيدفعنا الفضول لمعرفة الآخر وما يتصل به، هذا الآخر الذي كان له وجود قبلنا فنسعى لفهم كيف كان يعيش ويفكر...؟، فأصبح الهدف من الرواية التاريخية تربوي تعليمي، ويؤكد على ذلك قول "جورجي زيدان":

«قد رأينا أن ننشر التاريخ على أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته والاستزادة منه، وذلك لأننا نتوخى جهدنا في أن يكون التاريخ حاكماً على الرواية، لا هي عليه، كما فعل

¹ - نواف أبو ساري، الرواية التاريخية، ص 126.

بعض كتبه الإفرنج»¹، فيكون بذلك الهدف من كتابة التاريخ في قالب روائي هو تحريض وتحبيب التاريخ للناس الذين ملو التاريخ في كتبه الخاصة، على أن يكون التاريخ هو المرجع الأساس .

الذي يعود إليه القارئ بعد اطلاعه على الرواية للتأكد من صحة ما ورد فيها من معلومات، وفي هذا الخصوص يقول زيدان أيضا: «بالروايات نهى الناس لمطالعة التواريخ وإن يكن في تأليف الرواية من المشقة أضعاف ما في التاريخ أكثر من ظهور فضل الرواية، ولكن عوضنا الفائدة العامة وأقرب الطرق إليها من حيث التاريخ الطريقة القصصية التي نحن سائرون فيها، زد على ذلك أن لهذه الطريقة في نشر التاريخ مزية لا تتأتى لنا في التواريخ المحضة»²، فتكون بذلك الرواية حافزا يدفع القارئ لمطالعة كتب التاريخ، وتتمثل صعوبة ومشقة الكتابة الروائية في اختيار الأحداث والشخصيات والكيفية التي تعرض بها حتى لا تكون مناقضة للواقع بكل تفاصيله.

ويسعى الروائي في توظيفه للتاريخ في روايته لتحقيق غرض مهم يعرف بالصدق الفني الذي لا يأتي بسهولة، بل باستلهام التاريخ من أجل: «تشديد متن روائي متميز، أو بغرض تقديم طريقة جديدة لكتابة التاريخ روائيا»³، ولا يعني هذا تأدية وظيفة التاريخ بمعنى الكلمة، بل بعض جوانبه فقط باستثمار المناخ التاريخي وتوظيفه كخلفية للواقع، ويحدد "فرح أنطون" هذه الوظيفة بقوله:

«إن الروايات التاريخية لا يقصد بها سرد وقائع التاريخ وأرقامه، فإن طالب هذه الوقائع والأرقام يلتمسها في كتب التاريخ حيث تكون قريبة المنال ليجردها عما ليس منها... وإنما المقصود من الروايات الخيالية... تكميل التاريخ في جوانبه الناقصة»⁴.

ويوحي لنا هذا بأن الرواية التاريخية لا يمكن اعتبارها مرجعا بل كمحفز يدفعنا لمطالعة التاريخ في كتبه.

¹ - محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي والمقارن، ص 18.

² - عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، ص 242.

³ - فتحي بوخالفه، التجربة الروائية المغاربية، ص 18.

⁴ - عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص 240.

يتضح لنا من هذه الأهداف أن الرواية التاريخية مهما اعتمدت على التاريخ فإنها تظل مجرد وسيلة تدفعنا لمطالعة التاريخ في كتبه، ونعثر على هذا الهدف في مطالعتنا لرواية "يوسف بلا إخوته" لإبراهيم الكوني" والتي فتحت شهيتنا لمطالعة تاريخ ليبيا الشقيقة خاصة فترة حكم يوسف القormanلي، واكتشفنا تاريخاً مزهراً لم نكن سنتعرف به لو لم نقرأ هذه الرواية.

خلاصة:

نخلص في الأخير من أن العلاقة بين الرواية والتاريخ، هي علاقة تكامل لا تفاضل، إذ تعد الرواية مصدرا مهما من مصادر المؤرخ الذي يريد أن يفهم مجتمعنا ما في فترة تاريخية ما، ولمعرفة النظام القيمي والأخلاقي، والعادات والتقاليد... إلخ، وتظل الرواية مدينة للتاريخ في مادتها الخام التي تشكل منها.

ويبقى الفارق بين الرواية والتاريخ متجسدا في الطريقة التي يتعامل بها كل منهما مع الأحداث والشخصيات والزمان والمكان، للوصول إلى الأهداف التي سطرها.

وتمثل الرواية التاريخية نقطة التقاء بين الرواية والتاريخ، وتشكل ثمرة هذه العلاقة الحميمة التي تربط الرواية بالتاريخ، والملاذ الأخير بالنسبة للكتاب والروائيين الذين يريدون الخلاص من الواقع الراهن وسلبياته، فيرتحلون للماضي والتاريخ العريق ليعيشوا البطولات والأعجاد التي تحكي عنها كتب التاريخ والأساطير.

الفصل الأول:

مدلول الشخصية في رواية

"يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني

تمهيد:

تناولت العديد من الدراسات الأدبية وغير الأدبية الشخصية كموضوع، واختلفت رغم ذلك في طريقة تناولها لها باختلاف كل تخصص بل وداخل نفس التخصص من دارس لآخر، ويشهد المسار النقدي للشخصية على ذلك، ولا يعني هذا الاختلاف في الدراسة التناقض بل التكامل فكل دراسة جديدة للشخصية تقوم على الدراسات التي سبقتها تصحح أخطاء وتزيد عليها دون أن تنقضها أو تلغيها، فلم تؤسس النماذج الأدبية الأكثر تطورا (أرسطو، لوكاتش وفراي... إلخ) إلا استنادا إلى نظرية للشخصية تتميز بعض الوضوح (البطل الإشكالي أو غير الإشكالي، التماهي، التطهير نموذجي، فردي... إلخ)¹، ويعود سبب الاهتمام بدراسة الشخصية إلى الأهمية والمركزية التي تحتلها الشخصية داخل الرواية، فالشخصيات هي التي تقوم بالأحداث في مكان وزمان معين، وتتفاعل هذه الشخصيات فيما بينها فتدخل في علاقات تعاون أو تقابل وتعارض وصراع لتشكل الحبكة داخل النص الروائي، وهي التي تضع حدا لهذا الصراع سواء بالاستسلام أو الانتصار.

ويعتبر كتاب "سيمولوجية الشخصيات الروائية" لفيليب هامون كخلاصة وعصارة للأعمال النقدية التي سبقته في هذا المجال، فقد استفاد من أعمال بروب وستراوس حتى غريماش، واستفاد أيضا من أعمال اللسانين فيما يخص مفهوم العلامة، وأسقط هامون هذا المفهوم على الشخصية إذ يعتبرها كعلامة مكونة من علامات لسانية أخرى، واجتماعها بعد شتاتها على مدى صفحات الرواية هو ما يشكل الدلالة الكلية لهذه العلامة (الشخصية).

وقام فيليب هامون بتقسيم الشخصية مثلما قسم اللسانيون العلامة إلى دال ومدلول، وانطلق في دراسته للشخصية من مدلول الشخصية ثم توجه لدراسة دال الشخصية، وميز قبل ذلك بين ثلاث علامات من أجل إعداد الحقل الذي تشتغل به كل شخصية، (الشخصيات المرجعية، الإشارية، الاستذكارية).

¹ - فيليب هامون، سيمولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص

وسنحاول تطبيق هذه المفاهيم والاجراءات على رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني وتحديد فئات الشخصيات التي اعتمدها في روايته، كما سنحاول أيضا معرفة مدى مطابقة مدلول الشخصية لدالها في الرواية والواقع التاريخي، وطريقة توظيف الروائي لها، وسنبدا في هذا الفصل كما بدأ فيليب هامون عند تناوله للروايات التي اعتمدها كنماذج طبق عليها منهجه، فيتناول مدلول الشخصية. من خلال تحديد فئة كل شخصية، ثم نقوم بتحديد مواصفات الشخصيات ووظائفها، من أجل التعرف على أدوار الشخصيات.

I_ الوجود التاريخي للشخصيات:

يرتبط البحث العلامي بشكل كبير بالمنهج السيميائي، ويكمن هذا الارتباط في سعي هذا المنهج للكشف عن المعنى الذي يتحدد من خلال دال ومدلول العلامة والمرجع الخارجي، وسنعمل على تحديد هذا الأخير في هذه الصفحات، ونرفقه بالحديث عن المدلول كما حدده فيليب هامون، ونترك الحديث عن الدال في الفصل الثاني، ويقودنا اعتبار الرواية علامة تنضوي تحتها سلسلة من العلامات اللغوية التي تشكل معطيات سيميائية وثقافية منتجة للمعنى بجعلنا نتعامل مع الإجرائين السياقي والنصي، ويتمثل السياقي في إثبات الوجود التاريخي لشخصيات رواية "يوسف بلا أخوته"، والإجراء النصي بتناول شقي العلامة الدال والمدلول بالتحليل والدراسة، وتساعدنا عودتنا للسياق التاريخي في ملئ الفراغات والبياضات التي يتركها المؤلف للقارئ من أجل إتمام المعنى، وتساعد هذه الفراغات على زرع روح البحث في التاريخ، وتنفض الغبار من كتب التاريخ، الذي يعد من أهم الأهداف التي سطرها الرواية التاريخية في بداية نشأتها.

1- إثبات تاريخية الشخصيات من خلال الرواية:

تقدم لنا رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني سلسلة من العلامات التي تثبت تاريخيتها، وتعد العناوين الفرعية التي أفرد لها الراوي بعض المقاطع من غيرها خير دليل على هذه التاريخية ونذكر منها أول عنوان فرعي لأول مقطع في القسم الأول وهو: بحر ليبيا - يونيو 1795م¹، ويمتاز هذا العنوان

¹ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا أخوته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط 1، 2008م، ص 9.

كغيره من العناوين الأخرى: السراي الحمراء، يوليو 1795م¹، حقول المنشية، أغسطس 1796م²، تونس، قصر الباي 1795م³، باريس، ربيع عام 1800م⁴، طرابلس، السراي الحمراء، نهاية الخريف بداية الشتاء، 1800-1801م⁵.

يضيفي المكان والزمان اللذان تتحرك فيهما الأحداث والشخصيات، هذه العناوين على الرواية بصفة عامة والأحداث والشخصيات بصفة خاصة نوعاً ما من المصدقية، ولا يعني هذا انتقاء هذه المصدقية في باقي المقاطع غير المعنونة، لأن هذه المصدقية تظل مرتبطة بالشخصيات التي تتوزع على مدى الرواية، وتأبى أن تكشف عن ملامحها دفعة واحدة، فنجدتها تظهر وتختفي في بعض المقاطع لتحل محلها شخصيات أخرى.

وقدم لنا إبراهيم الكوني كذلك كدليل على مصداقية الأحداث والشخصيات التي ضمنها روايته "يوسف بلا أخوته" في معرض حديثه عن شيخ درنة الملقب بـ "المهدي المنتظر" مرجعين يمكن للقارئ أن يستعين بهما في التأكد من صحة المعلومات التي يقدمها، فيقول: «يروي محرروا الحوليات (أمثال الجبرتي)، والمؤرخون (أمثال الرافعي) كيف انتهز شيخ درنة الملقب بـ "المهدي المنتظر" فرصة توجه حجيج بلدان المغرب إلى الأراضي المقدسة عبر مصر ليجتمع بأمر الحجيج مصطفى بك ورفيقة القاضي التركي في منطقة الشرقية»⁶، والهدف من هذا الاجتماع هو جمع جيش من أجل محاربة نابليون وجيشه بمصر.

¹ - المصدر السابق، ص 21.

² - المصدر نفسه، ص 29.

³ - المصدر نفسه، ص 43.

⁴ - المصدر نفسه، ص 226.

⁵ - المصدر نفسه، ص 240.

⁶ - المصدر نفسه، ص 154.

ونقف أيضا على مثيرات وحوافز أخرى تحيل على المرجعية التاريخية لما يسرده الراوي وتتمثل في قوله: «يتحدث مؤرخو البحرية الأمريكية عن مآثر فرقطية "انتربرايز" فيقولون إنها خاضت سبع معارك حربية...»¹.

ويقول أيضا في معرض حديثه عن فرار الرئيس مراد مكيدة وأسر الأمريكان بمضيق جبل طارق: «يروي مؤرخو ذلك الزمان أن المستر بيتر لزلي (أو الرئيس مراد) أفلح في استغلال محاصريه الأمريكيين بمضيق جبل طارق...»²، وتضفي لفظة (مؤرخو على الرواية مصداقية أكبر، وكأن المؤلف يقول بأن ما سيقوله قد وقع حقا في زمان ومكان سبق وحددهما في العناوين الصغيرة للمقاطع.

ونخلص في الأخير للقول بأن الراوي قدم لنا علامات معينة تثبت المرجعية التاريخية لروايته ومصداقية الحكاية التي يسردها، ويحاول إقناع القارئ بها ويجفزه بذكر بعض المراجع التاريخية للعودة إليها وتجييب التاريخ وتقريبه للنفوس.

2- إثبات تاريخية الشخصيات من خلال كتب التاريخ:

وسبق أن أشرنا إلى بعض الكتب التاريخية التي أوردتها الراوي في نص روايته وهي الحوليات للجبرتي، وأعمال الرافعي، وسنعرض بعض الكتب التي اعتمدناها للتأكد من صدق تاريخية شخصيات الرواية والمتمثلة في كتاب:

أ- «تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين»³، ويتحدث هذا الكتاب عن تاريخ حكم عائلة القرماني وأصولها وكيفية وصولها للحكم، بداية من حكم أحمد القرماني الأكبر (1711م) إلى حين سقوط حكم عائلة القرماني بطرابلس، وتناول أيضا صراع فرنسا وإنجلترا من أجل بسط نفوذهما في إيالة طرابلس الغرب، والهجوم البري البحري الأمريكي بمساعدة أحمد القرماني على يوسف باشا وفشل هذا الهجوم، وتواجدت في معرض هذا الحديث

¹ - المصدر السابق، ص 243.

² - المصدر نفسه، ص 293.

³ - نيكولاي إيليتش روشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 103، 208.

معظم شخصيات الرواية بدأ من يوسف باشا ونابليون، وأحمد القرماني وعلي برغل والباي حمودة، وقنصل الولايات المتحدة الأمريكية والسويد وفرنسا، ...

ب_كتاب: تاريخ العرب الحديث¹، جاء في هذا الكتاب حديث عن أحوال طرابلس الغرب قبل القرمانيين وفيه حديث عن فرسان القديس يوحنا وحكمهم طرابلس، وتحدث أيضا عن حكم أحمد القرماني الأول، وابنه محمد، وحكم علي القرماني والد حسن وأحمد ويوسف، وجاء فيه أيضا حديث عن استيلاء علي برغل على الحكم ومساعدة الباي حمودة في استرجاع الحكم، وجاء في الكتاب أيضا كيفية قتل يوسف باشا لأخيه حسن وانقلابه على أخيه أحمد، وكيفية إدارته لحكم طرابلس الغرب وتولي الحكم بعده، وقدم تقييما للحكم القرماني في الأخير.

ج_كتاب: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي²، وكان حديث هذا الكتاب عن عائلة القرماني مفصلا أكثر حيث قدم ثلاث فصول عن حكم هذه العائلة، تحدث في الثالث والمعنون ب "الأسرة القرمانية يوسف وعلي الثاني" من سنة 1795م إلى سنة 1825"، ويعد الأغني فيما يخص الشخصيات التي قدمها والتي تتوافق مع شخصيات الرواية "يوسف بلا أخوته" بشكل كبير.

د_كتاب: "نابليون"³ تناول هذا الكتاب شخصية نابليون بونابرت بإسهاب وخاصة حملته على مصر، وميوله إلى النساء مثلما ورد في الرواية، فذكرت نفس النساء اللاتي تحدث عنهن إبراهيم الكوني، فضلا عن شخصيات أخرى ككليبر ونلسون، والجزائر...

ونخلص في الأخير بالقول أن شخصيات رواية "يوسف بلا أخوته" هي شخصيات مرجعية مأخوذة من التاريخ الليبي العريق، استدعاها الراوي من أجل خدمة أغراض معينة، وستمكنا دراستنا

¹ - رأفت غنيمي الشيخ، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والنشر والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، د.ط، 2005، من 105-126.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح الإسلامي للغزو الإيطالي، تر وتحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط3، 1994، ص372، 433.

³ - محمد أسد الله صفا، نابليون، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

لمدلول الشخصية ودال الشخصية حسب منهج فيليب هامون من معرفة الكيفية التي وظف بها إبراهيم الكوني شخصياته داخل الرواية.

II _ مدلول الشخصية في رواية :يوسف بلا إخوته:

يتميز العنوان "يوسف بلا أخوته" من الناحية التركيبية بأنه جملة اسمية تشي بالثبات والاستقرار والديمومة، تتكون من مبتدأ "يوسف" بكل حملته الدلالية والمتمثلة في الصدارة وعلو المنزلة من جهة، ومن كونه اسم دخيل من جهة ثانية، وإحالاته على اسم أحد الأنبياء "يوسف بن يعقوب عليه السلام".

1-تقسيم فيليب هامون للشخصيات:

قام العديد من الدارسين والباحثين بتقسيم الشخصيات كل حسب رؤيته الخاصة، فنجد أن هناك من قسمها إلى شخصيات مدورة وأخرى مسطحة، وتشكل الشخصيات المدورة «عالمًا كليًا ومعقدًا في الحيز الذي تضطرب فيه الحكاية المتراكبة وتشع بمظاهر كثيرًا ما تتسم بالتناقض، بينما الشخصيات المسطحة تشبه مساحة محدودة بخط فاصل، ومع هذا فإن الوضع لا يحضر عليها، في بعض الأطوار، أن تنهض بدور حاسم في العمل السردى»¹، ويعني هذا أن الشخصيات المدورة تطلق على الشخصيات الرئيسة في الرواية كالبطل والمعارض، بينما الشخصيات المسطحة فتخص الشخصيات الثانوية، لكن دورها الثانوي لا يلغي أهميتها داخل النص الروائي.

وما يهمنا في هذا التحليل هو تقسيم فيليب هامون للشخصيات حيث انطلق في تقسيمه هذا من تقسيم العلامات إلى ثلاث أنواع:²

1-العلامات التي تحيل على معطى في العالم الخارجي أو مفهوم، وتسمى بالعلامات المرجعية، ويمكن العثور عليها في المعاجم.

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998م، ص88.

² - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ص26-27.

2-العلامات التي تحيل على بؤرة ملفوظيه، تمتاز بمضمونها بتزامن مكوناته (أن، أنت، هنا، الآن)، ولا نجد هذه العلامات في المعجم.

3-العلامات التي تحيل على علامة منفصلة من نفس الملفوظ، قريب أو بعيد، يتقدم السلسلة الشفهية أو المكتوبة أو يتأخر عنها، وتهدف هذه العلامات للربط بين العلامات الأخرى والاقتصاد فتقلص من حجم الإرسالية وطولها، وتسمى بالعلامات الاستذكارية.

ويساعد هذا التقسيم حسب فليب هامون في تحديد فئة الشخصيات والتي تنقسم حسب العلامات إلى:¹

أ-فئة الشخصيات المرجعية:

ونخص بالذكر التاريخية منها لأن جميع شخصيات الرواية لها مرجعية تاريخية، تتطلب من القارئ درجة عالية من الاستيعاب للثقافة التي تنتمي إليها شخصيات مثل نابليون بونابرت، وأفراد عائلة القرماني علي الأب، والأولاد حسن وأحمد ويوسف، وعلي برغل وغيرها من الشخصيات التي وردت في الرواية، لأنها تحيل إلى النص الكبير تاريخ ليبيا في عهد يوسف القرماني، وعلاقاتها بالدول الأخرى، وتسهم هذه الفئة من الشخصيات في تحديد دور البطل والذي سنتعرف عليه في الفصل الثاني الخاص بدال الشخصية، وسنتناول هذا النوع من الشخصيات بالتحليل كمدلول وكدال.

ب-فئة الشخصية التكرارية:

ترتبط هذه الفئة بحضور المؤلف الضمير (هو) في رواية "يوسف بلا أخوته"، بصفته عالما بمكونات الشخصيات ومتحدثا باسمها في حواراتها الداخلية، ونعثر على الضمير (هو) أيضا في تقديم الشخصيات، وفي حديث شخصيات عن شخصيات أخرى، ولن ندرس هذه الفئة لأن الراوي ليس شخصية من شخصيات الرواية ودوره يكمن في كونه مقدم للشخصيات ومتحدث باسمها.

¹ - المرجع السابق، ص 29-33.

ج- فئة الشخصية الاستذكارية:

تحدد هوية هذه الفئة من خلال مرجعية النسق الخاص بالعمل، فتقوم هذه الشخصيات بنسج شبكة من التداعيات والتذكير بأجزاء ملفوظيه داخل الملفوظ، تعمل على تنشيط ذاكرة القارئ، وترد هذه العلامات في شكل تكهن مثل تكهن الأب علي القرمانلي بموت ابن الصياد إذ يقول:

«لو اصطحبتني فرما نجوت بالطفل»¹.

ولم يعد الطفل كما تنبأ الوالد علي القرمانلي وهذا ما تؤكد صيحة الصياد التي لم يسمعها علي القرمانلي لأنه قد فارق الحياة في المكان الذي خلفه الصياد.

وتكهن بينبرج بموت سفير الجزائر في الأستانه، وأسر القبودان باشا، وموت الصدر الأعظم ويظهر هذا لسان الراوي (الضمير هو): «وهو مصير هزم حتى قدرة بينبرج هن التنبؤ لأنه عطل فيه الملكه أو ما يسميه هو حدسا فأخفق في رؤية مصيره المقدر برغم أنه تنبأ لسفير الجزائر بالبليه، كما توقع للقبودان باشا الوقوع في الأسر برغم أنه أخفى عنه النبوءة، أما فيما يتعلق بالصدر الأعظم فما رآه في سيمائه أفزعه إلى حد، استغرب كيف استطاع هذا البعبع أن يحتال على قدره ويبقى على قيد الحياة حتى الآن؟»²، وصدقت توقعات بينبرج فقد أهين سفير الجزائر شر إهانة على يد القبودان باشا، ووقع هذا الأخير يسيرا بين يدي نابليون، ومات الصدر الأعظم بأنشطة صنعها خصيان خصيصة لقتله.

وتظهر هذه العلامات كذلك في شكل ذكرى واسترجاع وتتمثل أهم ذكرى في الرواية هي ذكرى مقتل حسن علي يدي يوسف والتي تكرر ذكرها في أكثر من موضع ومن طرف أكثر من شخصية، أحمد بك يوسف القرمانلي، الشيخ بوجمعة.

¹ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته، ص33.

² - المصدر السابق، ص178.

يقول الراوي على لسان يوسف باشا بعد أن انتهى من رسالته إلى ملك إنجلترا «ابتسم بغموض وهو يستعيد تفاصيل الملحمة الدموية المريعة التي شهدتها جناح للا حلومة نتيجة اعتناق حسن بك لنا موس الثقة هذا فكلفه ذلك حياته»¹.

ووظف الراوي هذه الفئة أيضا في شكل استشهاد بالأسلاف، كاستشهاد نابليون بونابرت بـ «سيرة الملك اليوناني مع فرعون المصري الحكيم [أماسيس]»²، واستشهاد قبوجي باشا بسيرة هانيبال ويوليوس قيصر والإسكندر الأكبر من أجل اقناع باشا طرابلس بالتخلي عن نابليون بونابرت والتمسك بالصد الأعظم والانجليز من أجل الحصول على العظمة وذلك بقوله: «ولماذا لا يصير يوسف القرماني هانيبالا، أو قيصرًا أو حتى الإسكندر الأكبر؟ هل يدري سعادة الباشا أن هؤلاء لم يصيروا أسطورة تترد في ذاكرة الأجيال إلا لأنهم قرروا يوما أن يخالفوا أهواءهم؟»³.

وتعد هذه العناصر أفضل الصفات والصور التي تميز هذا النوع من الشخصيات عن النوعين الآخرين.

ويمكن أن نجد شخصية واحدة تنتهي إلى نوعين من أنواع هذه الفئات وهي شخصيات وردت في معرض حديث شخصيات أخرى كشخصية يوسف في حديث أحمد بك والعكس، وشخصية حسن بك في حديث يوسف باشا وأمد بك والبليلج بوجمة والتي لم يكن لها وجود فعلي مستقل في الحكاية بل ارتبط وجودها باستذكارات الشخصيات الأخرى، وينطبق نفس الشيء مع شخصية علي برغل العدو الأساس لعائلة القرماني عامة ويوسف باشا خاصة.

2-المحاور الدلالية:

يرى فيليب هامون أن الشخصية وحدة دلالية لأنها تشكل مدلولًا منفصلاً قابلاً للوصف والتحليل، تتحكم في بنائها جمل تتلفظ بها أو يتلفظ بها عنها تعمل على حفظ الحكاية وتحولاتها

¹ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته ، ص254.

² - المصدر نفسه، ص51.

³ - المصدر نفسه، ص124.

وتعد الشخصية عند لوتمان جمع للصفات الأخلاقية والتميزية، ويطلق غريماش على الشخصيات اسم الممثلين الذين يعتبرهم عوامل تنتظم بفعل علاقات تركيبية في ملفوظات لها معنى واحدة.

وخرج كلود ليفي ستراوس من دراسته لأعمال بروب بتصور أكثر شمولية للشخصية، واعتبر أن الشخصية تشبه الفونيم كما تصوره جاكسون يقوم على شبكة من العناصر الاختلافية، فكل «شخصية تعد رمزا قابلا للتغيير تماما مثل الكتابة السرية أ-الاسم-ب- وضعها اتجاه الشخصيات الأخرى ج-الطابع د-الوظيفة/الأفعال»¹، فتعمل هذه العناصر على تشكيل الشخصية وبنائها، ويمكن التعرف عليها بسهولة وسرعة، لأنها تظل دائما وليدة مساهمة الأثر السياقي ونشاط استذكاري وبناء يقوم به القارئ.

واعتبارنا للشخصية علامة يجعل ظهور شخصيات تاريخية معروفة كنبليون بونابرت في رواية "يوسف بلا أخوته" من دورها متوقعها ومحددا مسبقا بتاريخ ثابت وعريض يتمثل في الحملة الفرنسية على مصر وعودته إلى فرنسا بشكل سري.

وتتحدد قيمة الشخصية (مدلولها) من خلال عدة عناصر كالتكرار والتراكم والتحويلات والتقابل بين الشخصيات.

أ- مواصفات الشخصية:

ويرى فيليب هامون أن المشكل الرئيس الذي يعترض الدارس في تحليله للشخصية يكمن في «اكتشاف المحاور الدلالية الملائمة، وفرزها وتصنيفها (الجنس مثلا)، وهي محاور تسمح ببنية السمة الدلالية الخاصة بكل شخصية»²، وتتميز هذه السمة بعدم ثبوتها ويمكن التحكم فيها بفعل التحويلات الحكائية، ويتمثل المشكل الأول في فرز هذه المحاور في إمكانية الاحتفاظ بمحور الجنس والسن والإيديولوجيا والسكن إذا حصل تقابل بين شخصيتين أكثر من مرة.

¹ - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ص 36.

² - المرجع نفسه، ص 41.

ويمس المشكل الثاني إقامة تراتيبية دخل المحاور المحتفظ بها، وذلك حسب استخدامها في تمييز كل شخصيات الرواية أو البعض منها دون أن نخلط مقولة "الغياب" التي لا تعني إدماج المسكوت عنه في النص داخل المحاور.

وتمكننا المحاور التالية (الجنس، الأصل الجغرافي، الايديولوجيا، الثورة) من التمييز بين الشخصيات أيها أكثر تعقيدا، أو التجمعات المنسجمة لشخصيات لها نفس المحاور والسمات الدلالية، وسيمكننا الجدول التالي الخاص بمحاور بعض شخصيات "يوسف بلا أخوته" من معرفة الشخصيات المعقدة والمبسطة، والتجمعات التي تنتمي إليها بعض الشخصيات.

أ-جدول خاص بمواصفات الشخصية:

محاوّر الشخصية	الجنس	الأصل الجغرافي	الإيديولوجيا	الثورة/المهنة
يوسف القرماني	ذكر	طرابلس الغرب	مسلم	باشا طرابلس الغرب
أحمد القرماني	ذكر	طرابلس الغرب	مسلم	بك طرابلس الغرب سابقا ولاجئ لاحقا
نابيون بونايرت	ذكر	فرنسي	مسيحي	-قائد الحملة الفرنسية على مصر ثم القنصل الأول لفرنسا
المسيو "غيس"	ذكر	فرنسي	مسيحي	قنصل فرنسا
دوروا (ناودي أكرافيه)	ذكر	مالطي	مسيحي	ترجمان القنصل الفرنسي -وساعاتي سابقا
علي برغل علي بن زول	ذكر			قرصان وحاكم طرابلس الغرب سابقا
الريس مراد (بيتر ليزلي)	ذكر	ايرلندي	مسيحي مرتد اعتنق الإسلام	رئيس بحرية طرابلس
الباي حمودة	ذكر	تونسي	مسلم	باي تونس
كاثكرت	ذكر	إيرلندي أمريكي	مسيحي	قنصل الولايات المتحدة الأمريكية
الشيخ بو جمعة	ذكر	تونسي	مسلم	
قبوجي باشا	ذكر	تركي	مسلم	مبعوث الأستانة
قبودان باشا	ذكر	تركي	مسلم	مبعوث الأستانة
جفرسون	ذكر	أمريكي	مسيحي	رئيس الولايات المتحدة الأمريكية
ماديسون	ذكر	أمريكي	مسيحي	وزير خارجية الإدارة الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية

نستنتج من جدول مواصفات الشخصية أن هناك تطابقا فيما يخص الجنس، فالشخصيات الموظفة رجولية/ذكورية، ونلاحظ في المقابل تنوعا في الأصل الجغرافي والإيديولوجيا والمهنة، فمن ناحية الأصل الجغرافي نجد الليبي (الطرابلسي) متمثلا في الإخوة أحمد ويوسف القرمانلي، ونجد الأصل التونسي في الباي حمودة ووزيره الشيخ بوجمعة، ويمثل هذان الأصلان جنوب البحر الأبيض المتوسط، أو الأصل العربي، ويمثل في المقابل شمال البحر الأبيض كل من فرنسا "بنابليون بونابرت"، وقنصله المسيو "غيس"، بالإضافة إلى مالطا متجسدة في الترجمان "دورو"، وتترجع في الشمال أيضا تركيا عاصمة الإمبراطورية العثمانية ممثلة بمبعوثيها من الأستانة قبودان باشا وقبوجي باشا... .

فضلا عن إيرلندا التي يمثلها "الريس مراد" المتنكر لأصله والذي قام بتغيير اسمه من "بيتر لينلي" إلى "مراد"، واستقر بليبيا (طرابلس الغرب) كوزير للبحرية بعد أن تزوج من إحدى بنات الباشا بعد اعتناق الإسلام، يقول الراوي بخصوصه: «الريس مراد عالج من أصول إيرلندية أيضا وقع في أسر بحرية طرابلس عندما كان يعمل تجارا على ظهر الباخرة الأمريكية "بتسي"، ولكنه اعتنق الإسلام ليتسلل إلى مخدع الأسرة المالكة على عادة نصارى ذلك الزمان فلم يحقق هذه الأمنية وحدها، ولكنه صار يد الباشا اليمني في كل ماله صلة بمملكة البحر»¹.

ويقصد الراوي أيضا هنا قنصل الولايات المتحدة الأمريكية بطرابلس "كاثكارت" فهو من أموال إيرلندية كذلك، ويظهر ذلك في استفهام يوسف باشا الاستنكاري للقنصل الانجليزي الذي توسط لكاثكارت أمام الباشا: «هل قال جناب القنصل في المرة الماضية إن كاثكارت هذا إيرلندي الأصل؟»².

ويوجد أيضا الأصل الأمريكي ممثلا في رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك "جفرسون"، ووزير خارجية الإدارة الجديدة للولايات المتحدة "مادسون".

ويمثل هذه التنوع في الأصل الجغرافي الصراع الدائم والأبدي بين الشمال والجنوب فتكونت بذلك علاقة صراع بين شخصيات الرواية، وتزيد الأيديولوجيا في تأجيج هذا الصراع فنجد المسلم مقابل

¹ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا أخوته، ص 206.

² - المصدر نفسه، ص 206.

المسيحي، ويمثل ارتداد "الرايس مراد" من المسيحية للإسلام انتصارا للإسلام على المسيحية خاصة بعدما عرفته إيالة طرابلس الغرب آنذاك من هيبة وقوة بفضل تولي يوسف باشا الحكم.

ويجمل تنوع المهن والمناصب التي تتولاها كل شخصية إلى النظام السياسي الذي تخضع له طرابلس الغرب آنذاك، فنجد الباشا يوسف الذي يحاول التملص من أوامر ونواهي السلطان العثماني من جهة، ويكرس السيطرة على وزرائه وقناصل الدول الأجنبية المتواجدة على أرض بلاده، كقنصل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرهما، دون إغفال دور الترجمة التي يمتثلها "دورو" و"الفردوسي"، والقرصنة التي يمثلها "علي برغل".

ونجد أيضا هنا وهناك تنوعا أو تغير في المهنة إحال "أحمد بك" الذي كان بكا وكاد أن يصبح باشا لكنه أصبح لاجئا بتونس، و "نابليون" بونابرت" الذي كان قائدا للحملة الفرنسية على مصر وأصبح قنصلا أولا بعد عودته إلى فرنسا، وتحول "دورو" من ساعاتي إلى ترجمان للمسيو "غيس"، ثم عودته إلى مهنة الساعاتي بعد تولي المسيو "بوسيه" منصب القنصل الفرنسي في طرابلس والذي أعاده من جديد لمهنة الترجمة" ويزيد هذا التنوع الأيديولوجي والجغرافي والمهني من حدة الصراع بين المسلم والمسيحي والشمال والجنوب والحاكم والمحكوم.

ب-وظائف الشخصية:

يتضمن جدول وظائف الشخصيات مختلف أنواع الأفعال التي تقوم بها الشخصيات في الحكاية، واستوحى فكرة جدول الوظائف من وظائف بروب¹، وتتمثل في الحصول على مساعدة، توكيل، قبول التعاقد، الحصول على متاع، مواجهة ناجحة.

وتعطينا هذه التصنيفات إمكانية تحديد وتقسيم الشخصيات إلى شخصيات نمطية أو ناشطة، والشخصيات الرئيسة والثانوية من خلال الوظائف والأعمال المنجزة، وعلاقتها بالشخصيات الأخرى.

¹ - فلاديمير بروب، مورفولوجية القصة، تر: عبد الكريم محسن سميرة بن حموة، شاعا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1990م، ص43-82.

وستنخذ بعض شخصيات رواية يوسف بلا إخوته كنماذج نستخرج وظائفها للتعرف على انتماءاتها، ودورها في الحكاية وعلاقاتها ببعضها البعض والشخصيات الأخرى، ويمثل لنا الجدول أهم هذه الشخصيات ووظائفها.

جدول وظائف الشخصيات:

الشخصية وظائف	الحصول على مساعدة	توكيل	قبول التعاقد	الحصول على معلومات	الحصول على متاع	مواجهة ناجحة
يوسف باشا	ساعده الباي حمودة في الوصول للعرش -ساعده نابليون في ضمان أمان البلاد وابعاد علي برغل من طرابلس -وساعده أيضا في التوسط بينه وبين السويد	وكل الباي حمودة ليكون وسيطا له عند الأستانة لتعيينه باشا لطرابلس -وكل نابليون من أجل إعادة عمه وابنته إلى طرابلس -وكل نابليون كوسيط بينه وبين عمه بمصر	بعث الباي برسالة للأستانة لتعيين يوسف باشا لطرابلس -تقديم المساعدات لنابليون بمالطا ومصر، وتميرير الرسائل بين الحملة بمصر وفرنسا	-علم بخواء الخزينة -انتهاء حكم فرنسان القديس يوحنا بفضل نابليون -أن إحدى السفيتين الأمريكيتين تابعة لداي الجزائر -علم أن مستشاره مليطان أذاع سر ابنة عمه لزوجه -علم أن الأمريكيين يدفعون الضعف لداي الجزائر	-موافقة كل من اسبانيا والبنديقية على تقديم المستحقات للباشا وتوعد باقي الدول لفعل ذلك -استيلاء ربانة البلاط على سفن هولندية وروسية ودنماركية وأمركية -حصل على المال والذخيرة من طرف الأستانة	-حصل على الوش -وأبعد على برغل عن مصر إلى عكا -دفع السويديون مستحققاتهم -اخلاء سبيل سفينة أمريكية تابعة لداي الجزائر والإبقاء على الثانية -الزواج من عمه حسن
أحمد باشا	قبله الباي حمودة على أن لا يحاول حشد جيش للانتقام من أخيه يوسف	تعاقد مع الباي حمودة على أن لا يحاول حشد جيش للانتقام	-قبوعه في البيت الذي آوى أباه أثناء هريه	-استعباد أولاده من قبل أخيه وزواج زوجته من أخيه يوسف باشا	-قدم له الباي حمودة بطاقة هوية جديدة، دخل بها مصر	الهرب من بطش أخيه يوسف باشا

	باشا وتوكيل مراقبين عليه	من أخيه يوسف باشا، وتوكيل مراقبين عليه	وتنفيد التعليمات التي اتفقا عليها		وبطاقة تاجر في مالطا ومبلغا من المال	
نابليون بونابرت	-ساعده يوسف باشا بتمويل الحملة على مصر، وفك العزلة عن الجيش الفرنسي بمصر، بنقل الرسائل عبر تراب وموانئ طرابلس إلى فرنسا	تعاقد مع يوسف باشا ليحصل على ابنة العم المتواجدة بمصر مقابل تزويد الحملة بما تحتاجه لفك العزلة عنها وضمان الأمان لباشا طرابلس	-تمكين يوسف من الحصول على مراده الأمان وابنة العم.	وصول رسالة وحيدة من فرنسا لنابليون تخبره بين البقاء في مصر أو التوجه نحو الهند أو تركيا	-حصوله على المؤونة والسلاح بفضل يوسف باشا.	فشل الحملة على مصر وعودة نابليون إلى فرنسا سرا وتولييه منصب القنصل الأول لفرنسا.
كاثكارت	ساعده القنصل الاسباني والانجليزي وداي الجزائر على توقيع معاهدة مع يوسف باشا	وكل القنصل الانجليزي من أجل تحرير السفينة التي أسرها بحارة طرابلس بقيادة الرئيس مراد وتوقيع المعاهدة	تلبية شروط الباشا	-وصله نبأ موت مبعوث الجزائر إلى السلطان سليم الثالث وموت هذا الأخير أيضا.		توقيع المعاهدة مع الباشا والحصول على رضا الصدر الأعظم.
الرايس مراد	حرره مولاي سليمان حاكم المغرب من قبضة الأمريكان بعد الحصار الذي فرضوه عليه في الميناء	وكاه مولاي سليمان بتسليم رسالة إلى يوسف باشا	تسلمه للرسالة وتقديمها للباشا		شفع له مولاي سليمان وزوده بالبعير والعييد والمؤن	نجاح الرئيس مراد في الفرار نت الحصار والعودة إلى أراضي طرابلس

نستنتج من الجدول وجد علاقات تربط بين شخصيات الحكاية، ويمكن تحديد هذه العلاقات في ثلاث عناصر هي علاقة الرغبة وعلاقة التواصل وعلاقة الصراع مثلما حددها غريغاس، ويعد يوسف باشا من خلال الوظائف التي قام بها والعلاقات التي تربطه بشخصيات الرواية الأخرى بمثابة الشخصية المعقدة.

وتتمثل العلاقات التي تربطه بالشخصيات الأخرى في علاقة التواصل التي تربطه بالباني حمودة ونابليون بونابرت وقناصل الدول الأجنبية بطرابلس والوزراء، وتظهر علاقة الصراع في كرهه وخوفه من علي برغل، وفرسان القديس يوحنا الذين استطاع بمساعدة نابليون التخلص منهم، وتعد الأستانة (الصدر الأعظم) من ألد أعدائه، لأنه يشكل خطرا على عرشه لأن السلطة بأيديهم، فهم من عينوه باشا على طرابلس، ويمكنهم أن يزيلوه ويعيدوا علي برغل من جديد، لذا قرر معاداة فرنسا (نابليون بونابرت) من أجل إرضاء الصدارة الأعظم والانجليز العدو المحرض لسليم الثالث.

وتتجسد علاقة الرغبة في رغبة يوسف باشا في ضمان أمان البلاد من علي برغل وفرسان القديس يوحنا ومن كل عدو يترصد شرا بسلطانه، الذي ضحى من أجله بأخويه حسن وأحمد وعق والده علي القرمانلي، ولضمان أمن البلاد سعى لملاء خزينة الدولة ببعث أصحاب المكوس الذين يجمعون المال من الشعب، وفرض غرامات مالية على الدول التي تعبر "بحر ليبيا"، فخاض حربا مع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل ذلك، ووقع اتفاقيات مع فرنسا والسويد والولايات المتحدة الأمريكية تضمن له عدم خواء الخزينة.

وليحقق رغبته في الزواج من ابنة عمه حسن الذي لجأ إلى مصر سابقا تعاون مع نابليون بونابرت وقدم له السلاح والمؤونة.

ويمكن أن نصنف شخصية أحمد بك ونابليون في نفس الخانة من خلال الوظائف التي قاما بها وعلاقتهما بالشخصيات الأخرى، فقد أفلح أحمد بك بالهروب من بطش أخيه بمساعدة الباني حمودة، وفشل نابليون من حملته على مصر لمنه نجح في العودة إلى فرنسا وتحريرها من أيدي الخونة الذين أرادوا أن يبعده عن الأضواء والتفرد بالسلطة والحكم.

وتلتقي شخصية كاثكارت مع شخصية الرئيس مراد من خلال البيانات التي قدمت عنهما، فشخصية كاثكارت لم تزود بالمتاع الذي طلب منها أو تأخر وصوله في وقته المناسب، أما شخصية الرئيس مراد فلم تحصل على معلومات.

نستخلص بأن شخصيات "يوسف بلا إخوته" يمكن أن تقسم حسب دورها الموكل لها والوظائف التي أنجزتها أو لم تنجزها إلى شخصيات معقدة: يوسف باشا وأحود بك، وناييون بونابرت، لأنها شخصيات أكثر نشاطا من الشخصيات الأخرى كاثكارت والرئيس مراد، والدغيس...

خلاصة الفصل الأول:

يتضح لنا من خلال التحليل الذي قدمناه لمدلول الشخصية أن شخصيات الرواية هي شخصيات تاريخية لها مرجعية تاريخية في كتب التاريخ المتعلقة بتاريخ ليبيا من جهة والخاصة بتاريخ العالم من جهة أخرى كشخصية "نابليون بونابرت" التي تناولها كتب التاريخ العالمية والإقليمية كونها شخصية فعالة لها إنجازاتها الخاصة في التاريخ والتي أثرت في العالم بأسره وخاصة ليبيا كونها نقطة عبور الأسطول الفرنسي إلى مصر والسند الرئيسي لنابليون وحملته على مصر.

ودفعتنا تاريخية الشخصيات إلى تقسيمها حسب تقسيم فيليب هامون إلى شخصيات مرجعية وتكرارية واستذكارية مع الإشارة إلى أن بعض الشخصيات لشخصية "يوسف القرمانلي" تواجد ضمن الأنواع الثلاثة ويعود ذلك إلى كونها إحدى شخصيات الرئيسية للرواية والتي قمنا بتحديد حقولها الدلالية، وخلصنا من خلال مواصفات الشخصية إلا أنه يمكن تقسيم الشخصيات حسب الجنس إلى شخصيات ذكورية، وحسب الموقع الجغرافي إلى شخصيات تنتمي إلى الشمال والأخرى إلى الجنوب، فتولد الصراع الأزلي بين الشمال والجنوب الذي دعمته إيديولوجية الشخصيات المسلمة والمسيحية.

وقادتنا وظائف الشخصيات إلى وجود ثلاث علاقات بين الشخصيات، وهي علاقة الرغبة والتواصل والصراع التي لا يخلو منها أي نص روائي.

الفصل الثاني:

دال الشخصية في رواية "يوسف بلا

أخوته" لإبراهيم الكوني

تمهيد:

تختلف طريقة تقديم الشخصية من نص روائي لأخر حسب وجهة نظر الكاتب، فنجد إما ظاهرا على سطح النص الروائي بصفة ضمير المتكلم (أنا)، أو متخفيا تحت ضمير الغائب (هو)، أو أنه يتقمص دورا داخل الرواية فيكون شخصية فيها -ثانوية أو رئيسية-، وتظل الشخصية وعاء فارغ يتم ملؤه عبر صفحات الرواية التي تمتد عبرها الشخصية في شكل سمات متناثرة يوحدتها الاسم كدال ثابت في كثير الأحيان وهذا ما نحاول إثباته في رواية "يوسف بلا أخوته".

وتتميز رواية "يوسف بلا أخوته" بطغيان اسم العلم كون الحكاية مروية بضمير الغائب "هو"، ويظهر ذلك جليا بكثرة استعمال الضمير المتصل (الهاء) من بداية الرواية إلى نهايتها، ويمتلك اسم العلم عدة سمات ومميزات تميزه عن غيره من الأسماء منها العلامات الطبوغرافية، والتواتر والسكونية ما يساهم في انسجام ومقروئية النص. «إنه [اسم العلم] يشكل في الوقت نفسه ضمانا الديمومة والحفاظ على الخبر على مدى تنوع القراءات»¹، ويعني بذلك اسم العلم هو ما يحافظ على الخبر ويضمن صدقه لأن تغيير الأسماء واسناد نفس الفعل لأكثر من اسم يشوش على القارئ المعلومة ويجعله يشكك فيها ويكذبها، ولا يعني هذا انعدام وجود نصوص تسند أفعال كثيرة لأسماء كثيرة نكتشف في الأخير أنها صادرة عن شخص واحد، ويمثل فيليب لهذا النوع بنص (بيكيت، روب غرييه).

¹ - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ص 71-72.

I_تحليل العنوان:

يحتل العنوان منذ القدم بأهمية كبرى لدى الكتاب والقراء والدارسين، لكونه يعد فاتحة كل عمل أدبي ويحمل طاقة إيجابية مكثفة تجذب القارئ لتناول هذا الكتاب أو ذاك، وقد تتلشى هذه الجاذبية بعد تقلص صفحات الكتاب كما قد تزيد، فتخلق علاقة جدلية بين العنوان والنص الروائي «إذ بدون النص يكون العنوان وحده عاجزاً عن تكوين محيطه الدلالي، وبدون العنوان يكون النص باستمرار عرضه للذوبان في نصوص أخرى»¹.

ونأخذ كلام "إبراهيم الكوني" في نهاية روايته "يوسف بلا أخوته" كمثال يؤكد لنا صدق القول السابق إذ يقول: "لنهاية الرواية السادسة" الأسلاف والأخلاف، «وتليها الرواية السادسة»²، فنلاحظ أن العنوان الذي اختاره الكوني لسداسيته (الأسلاف والأخلاف) يضم عدة عناوين أخرى متميزة عن بعضها ليحد من ذوبان بعضها بعض، وما يهمنا من هذه العناوين سوى رواية "يوسف بلا أخوته"، والذي سنعرض لتحليله لأنه يحوي اسم إحدى أهم الشخصيات في الرواية "يوسف"، ويدخل العنوان كعنصر داخل السمة المحددة للشخصية حسب فيليب هامون «إن السمة تحتوي إذن على جذر للمعادلات يقوم بتهيين حقل واسع يمتد من العناصر الأكثر اقتصادية (الإرشادات [...]) إلى الأكثر غنى (البورتية، الوصف) مروراً باسم العلم (الاسم، اللقب، الكنية) وكل التنويعات التوضيحية (الرجل ذو الوشاح الأخضر)، والعنونة الرسمية، التوضيح أو الرسم البياني، شجرة النسب...»³، فيكون بذلك العنوان إحدى مكونات سمة الشخصية.

يتميز العنوان "يوسف بلا أخوته" من الناحية التركيبية بأنه جملة اسمية تشي بالثبات والاستقرار، تتكون من مبتدأ "يوسف" بكل حملاته الدلالية والمتمثلة في الصدارة وعلو المنزلة من جهة، من كونه اسم دخيل من جهة ثانية، وإحالة على اسم أحد الأنبياء "يوسف بن يعقوب عليهما السلام".

¹ - نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي، دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، دار الكتب والوثائق العلمية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2012، ص48-47.

² - إبراهيم الكوني، يوسف بلا أخوته، ص317.

³ - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ص73.

ويلحق باسم العلم حرف الجر "الباء" الذي يفيد الالتصاق والسببية، ويعود سبب هذا الالتصاق إلى صلة الرحم التي تربط يوسف بإخوته، أما السببية فتليها "لا" النافية للجنس، فهي تنفي أن يكون ما سيلحق بها مرتبط بما قبلها، أي أن يكون للإخوة سبب في ما وصل إليه يوسف، وارتبطت لفظة "إخوة" بالضمير المتصل "الهاء" والذي يعود على يوسف، فجاء الخبر شبه جملة جار ومجرور (بلا أخوته)، فنستخلص أن ما وصل إليه يوسف لم يكن لإخوته دخل فيه.

وتبقى مشكلة اسم العلم "يوسف" متعلقة بنص الرواية، فقراءة العنوان بمعزل عن نص الرواية يقودنا إلى تأويلات كثيرة تتداخل مع نصوص مختلفة منها قصة سيدنا يوسف النبي مع إخوته، وربط العنوان بمثنى الرواية يزيح عنا الإلتباسات ويضعنا أمام قصة أخرى متعلقة بإشوا طرابلس الغرب (ليبيا) "يوسف القرماني"، الذي حكم طرابلس بين «1795م-1830م»¹. وكيفية وصوله إلى الحكم ومحاولة بسط نفوذه أمام أطماع الغرب من الخارج، والأقارب من الداخل (أخوه أحمد)، ومحاولة الاستقلال عن الأستانة والحكم العثماني.

ويقودنا تحليل العنوان للتأكيد على ضرورة دراسة العنوان وربطه بنص الرواية، حتى نضبط المعنى ونعرف الهدف من اختيار الكاتب لهذا العنوان بالذات، ولماذا إدراج هذه الشخصية دون أخرى؟، فاختياره لشخصية "يوسف" لم يكن عشوائيا بل مبنيا على معارف قبلية تفرض على القارئ أن يكون ملما بها حتى لا يخطئ في تأويلاته وفهمه للعنوان أو لنص الرواية، فجاء اختيار شخصية "يوسف" انطلاقا من مكانتها التي تحتلها داخل الحكاية (إشوا طرابلس).

I_أسماء العلم:

تعد أسماء العلم من المواضيع الهامة التي انهدت المحللين في مختلف الاختصاصات منذ القدم إلى يومنا هذا، وتعود أهمية اسم العلم إلى كونه يطلق على كل شيء في الوجود وبه تتم عملية التواصل والتبليغ اللساني، التي يحتكرها الإنسان لامتلاكه ملكة العقل، ويحمل الروائي بصفة خاصة على عاتقه مشكل التسمية، فهو من يختار أسماء الأماكن والشخصيات الموجودة فيها، والتي تنتقل عبرها لتفعيل الأحداث في إطار زمني خاص يعني باختياره، ليشكل بدمج كل هذه العناصر حكايته التي يسميها

¹ _ نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا، ص 151.

رواية، فنجدده يقوم: «بمجهود كبير من أجل تخصيص وتنويع السمات الدالة لشخصياته المختلفة، متحاشيا مثلا أسماء العلم التي تتشابه من الناحية الصوتية»¹، ويقصد بالناحية الصوتية الترخيم والإيقاع والمجموعات المقطعية.

وتتماز شخصيات "يوسف بلا أخوته" بتاريخيتها التي سبق أن تحدثنا عنها أثبتناها، فأثرت هذه التاريخية على أسماء الشخصيات فالترزم إبراهيم الكوني بالأسماء الحقيقية لشخصياته وتلتى ارتبطت بزمان ومكان وأحداث معينة سلفا، تفرض على القارئ أن يكون على اطلاع بها مسبقا، ومن أبرز هذه الشخصيات شخصية نابليون بونابرت وأفراد عائلة القرمانلي (علي، حسن، أحمد، يوسف)، وعمال البلاط، وقناصل الدول المتواجدة بطرابلس آنذاك.

1_ يوسف القرمانلي:

يعتبر يوسف القرمانلي من الشخصيات الرئيسية في الحكاية من حيث توتر اسمه، فنجدده تارة صريحا (يوسف القرمانلي) أي اسم مرفقا بلقب، ويقصد منه ضمان الديمومة الدلالية، كون اللقب "القرمانلي" مرتبط بشخصيات أخرى لها نفس اللقب ومن نفس العائلة (علي القرمانلي الأب، حسن القرمانلي، أحمد القرمانلي، حسن القرمانلي العم، أحمد القرمانلي الجد).

ونجد أيضا اسما مرفقا بكنية (سيدي يوسف، يوسف باشا، يوسف باشا القرمانلي، الباشا يوسف القرمانلي)، وتشبي الكنية هنا إلى المكانة الاجتماعية والسياسية التي يحتلها يوسف القرمانلي داخل المجتمع الطرابلسي والأجنبي.

ويرد أيضا كنية مباشرة من دون اسم أو لقب (مولاي الباشا)، فنلفظه (مولاي) تقال لمن هم أرفع وأعلى درجة وتنحدر لفظة (مولاي) من كلمة (المولى) والتي تعني الصاحب والمالك والرب، ويقصد منها المتكلم بها أن يوسف باشا هو مالكة وره، وأنه خاضع له، أما لفظة (باشا) فهي «لقب من ألقاب الشرف استعمل في تركيا والبلاد التي خضعت لها»²، فهي ترمز لمكانة يوسف القرمانلي وشرفه.

¹ - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ص 74.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، ج (1.2)، ط 3، د.س، ع 1، ص 63.

ونلاحظ من الناحية الطبوغرافية للاسم، والحرف الأول بالخصوص، دون أن نغفل أصل الاسم فهو «اسم عبري معناه: يزيد وبضيف»¹، وتظهر هذه الزيادة والإضافة في رغبته للوصول إلى المجد والخلود كيوليوس قيصر، وهانيبال والإسكندر الأكبر، لأن معنى الحروف يتغير من اللغة الأصل إلى اللغة المنقولة إليها، وسنتقيد باللغة المنقولة إليها لأنها اللغة التي ورد النص فيها، ويبدأ اسم العلم "يوسف" بالياء وهي:

«حرف تراي وقمري: منطقي ومدرّك ومتفهم ويحتوي من حوله، يقوده العقل وليس العاطفة لا يستغل الطاقة التي لديه بشكل كاف»²، ويظهر هذا جليا في سلوك "يوسف باشا" ودليل ذلك أنه قتل أخاه "حسن" في حضن أمه دون شفقة من أجل الوصول إلى السلطة، كما اقلب على أخيه أحمد ووالده أيضا، واعتبر ذلك شجاعة منه إذ يقول في خلوته مع نفسه على لسان الراوي «وقبل أن يبرهن على هذه الشجاعة في زمن الحرب الأهلية برهن عليها في حربه مع حسن بك، وهي حرب أشرس من الحرب مع أحمد بك، ومن الحرب مع الأب، ومن الحرب ضد أهل مصراته أيضا، وعلى البرهان الأقوى على شجاعته هو حربه ضد صاحب الزور علي برغل باشا»³، فنجد أنه لم يكتف بقتل أخيه فقط بل إبعاد والده وأخيه أحمد أيضا، وأضاف إليهم علي برغل الذي استولى على العرش بتزوير فرحان السلطان الأعظم.

وتبرز عقلانيته في محاولة التملص من إعلان العداوة على نابليون بونابرت وإيهام المبعوث العثماني بأنه لا يملك جيشا، وبعد أن أمده بالسلاح لم ييخل في تقديم المساعدة لنابليون، بل لعب على الحبلين عندما حاول أسطول بونابرت نابليون الإنزال على شاطئ درنة فبعث إلى بكها برسالة لم يستطع أن يفك شفراتها ووقع في مصيدة يوسف باشا، ونال جزاءه، فأكد من جديد أن لا عاطفة له في سبيله إلى المجد والخلود، فالرجل الذي قتل أخاه وحزن لموته فقط لأنه خصما وعدوا لا أخا وشقيقا لا يمتلك عاطفة ولا قلبا يحس به.

¹ - حسن نور الدين، الأسماء العربية ومعانيها ومدلولاتها، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2004، ص 365.

² - إميل سمعان، مقال الحروف العربية، صفاتها ومعانيها، الثلاثاء 14 أبريل 2015. emilesemaam@gmail.com

³ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته، ص 118، 119.

ونعثر أيضا على بدائل أخرى للاسم "يوسف القرماني" الألفاظ الدالة على القرابة والعلاقات الأسرية مثل (الابن، ابنه، أخو، شقيق، أخي يوسف..).

واستبدل اسم العلم (يوسف) أيضا بلفظة (هذا الرجل) التي تطلق على المجهول، فكأن "يوسف باشا" مجهول وغير معروف أوله جوانب وأشياء يخفيها، ونجد هذا في كلام القنصل "غيس" مع ترجمانه "دورو" في طريقهما لمقابلة الباشا أين قال:

«أنت لن تصدقني إذا قلت لك إن هذا الرجل يخفي مخلوقا آخر يختلف عن المخلوق الذي يتبدى للناس»¹، وجاء قوله هذا عن خبرة ومعرفة سابقة للباشا الذي سبق أن التقى به وتحدث معه.

2_ أحمد القرماني:

يعتبر أحمد القرماني المرشح الأول بعد مقتل أخيه حسن ليكون باشا طرابلس، لكن طمع أخاه يوسف حال بينه وبين الباشوية ويرد ذلك صريحا على لسان الراوي «بلى، بلى، ها هي الأقدار تبخل عليه اليوم حتى بلقب "البك" وهو الذي انتظر بالأمس القريب أن يتلقى من الباب العالي لقباً أعظم شأنًا وهو الباشا؟»².

ورد اسم أحمد القرماني صريحا (اسم + لقب) متواترا أكثر من مرة وفي أكثر من موقع، وهو اسم يؤكد نسبه لعائلة القرماني الشهير والتي حكمت طرابلس منذ (1711م)*³، بل يلتقي هذا الاسم مع أول من حكم من القرمانيين طرابلس وهو أحمد القرماني الأول، أو كما يقول الراوي «أحمد الأكبر»⁴ تميزا له عن أحمد الثاني.

ويرفق أيضا اسم أحمد بكنية سيدي "سيدي أحمد" وهو قرار بسيادة أحمد لمن هم أقل منه شأنًا وهو لقب يفرضه المجتمع للتكبير والإجلال لحامله، وينادي أيضا بكنية "مولاي" التي لم تعد لها معنى في نفسه مثلما مثل (الباشا والبك) التي جرده منها أخاه يوسف بالخديعة كما أشرنا سابقا، ونجد

¹ - المصدر السابق، ص 37.

² - المصدر نفسه، ص 9.

³ - * نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا، تر: عماد حاتم، ص 103.

⁴ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته، ص 147.

تكره لكنية (مولاي) في رده على أحد البحارة على متن السفينة التي نقله إلى درنة: «غزا الحزن سيماء الرجل، طأطأ لحظة، قال:

- مولاي لا يعلم...

قاطع سيدي أحمد:

أحمد الله أني لم أعد مولى لأحد بعد اليوم»¹.

ويعد الحمد من سمات الاسم أحمد «والحمد هو الشكر والثناء -وأحمد الرجل: صار أمره إلى الحمد-وأحمد أمره: صار عنده محمودا-وأحمد الرجل: فعل ما يحمد عليه»².

ونجد أن أحمد القرماني قد فعل حقا ما يحمده عليه البحار بقوله: «لقد كنت علينا المولى الذي لم يكنه أحد قبلك وسوف لن يكونه أحد بعدك، ولكن خوفي من الجواسيس هو الذي منعي من مخاطبة مولاي باللقب الذي اشتراه بأفعاله قبل أن يرثه عن أسلافه»³، وجاء هذا الحمد والثناء من طرف البحار لأحمد بك القرماني لأنه سبق وأنقذه من بطش رجال أخيه يوسف باشا.

ويرمز الحرف الأول من اسمه (الألف "أ") «إلى البداية والأولية، إذا لم نتعرف على صاحبه فنشعر بأنه أناني ويجب نفسه، ولكن نكتشف بسرعة طيبة قلبه لذا فهو يتمتع بالكرم والإخلاص والمحبة، يتطلع دائما إلى النجاح والتواصل... يجب العمل الفردي وبأخذه على عاتقه أمور كثيرة»⁴.

وتتجسد الأولية والبداية في بداية الرواية من حيث أن الراوي بدأ به حكايته: «على متن السفينة التي أقلتته إلى درنة استعاد أحمد بك خطاب سيدي يوسف القاضي بتوليه أمرا لناحية...»⁵.

¹ - المصدر السابق، ص12.

² - حسن نور الدين، الأسماء العربية ومعانيها ومدلولاتها، ص14.

³ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته، ص12.

⁴ - إميل سمعان، الحروف العربية صفاتها ومعانيها.

⁵ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته، ص6.

وأخى به الحكاية معبرا عن إصرار "المستر إيتون" على تنحية "يوسف القرماني" وإحلال أخاه أحمد بك مكانة: «عاد المستر إيتون ليرتدي بزة جنرال مزورة تمهيد للقيام بانتقامه من خصم اعتبره دائما حجر الزاوية لكل بلايا الشمال الإفريقي، ألا وهو يوسف القرماني، مقررا بذلك أن يضع موضع التنفيذ وصية الحكيم بينا ميت فرانكلين عن استخدام ورقة الورثة في إلقاء الرعب في نفوس الطغاة»¹، ويعني بورقة الورثة أحمد القرماني الذي ذهب إليه "إيتون" عندما كان يعمل قنصل بتونس قبل أن يطرد منها ليزرع في نفسه الرغبة في الانتقام، التي سعى الباي حمودة إلى إخمادها بإجبار أحمد على توقيع معاهدة مقابل استقباله كلاجئ بالأراضي التونسية وساعده في رحلته إلى مصر حيث استقر هناك.

3_ نابليون بونابرت:

يندرج "نابليون" ضمن الشخصيات الرئيسية للدور الذي لعبه في الحكاية، وهو دور المساعد "ليوسف باشا" في التخلص من العدو اللدود "علي برغل"، وامتناع "يوسف باشا" من محاربة نابليون وتقديم المساعدة لأنه آمن له الأمان الذي حرّمته منه الأستانة بإرسال "علي برغل" ليحكم طرابلس ومساعدته له بالملكوت بمصر والاحتفاء بمماليكها، التي رفع "نابليون" عليها راية الحرب.

فالأهالي «الذين يعيرونه بالجن اليوم لا يدرون أن علي برغل هذا هو سبب إحجامة عن محاربة نابليون لا الخوف من نابليون نفسه، هؤلاء البلهاء لا يدرون أن من أجار هذا الوغد لم يكن إلا المماليك الذي يحاربهم نابليون اليوم»².

وأسهمت النون التي يبدأ بها اسم نابليون في تشكيل شخصيته في الرواية لأنها: "حرف تراي وشمسي: يتحلى بروح القيادة والتكبر، له سحره الخاص، طموح، الغاية تبرر الوسيلة، يطمح للنجاح الدائم، عنيد، لا يتراجع أمام الصعاب"³.

¹ - المصدر السابق، 317.

² - إميل سمعان، الحروف العربية، صفاتها ومعانيها.

³ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا أخوته، ص151.

وتظهر روح القيادة عنده في ترأسه للحملة على مصر وطموحه في التقدم نحو الشرق إلى عكا وتحطيم سورها على "الجزار" بعد أن بعث له برسالتين يطلب منه الاستسلام، ورغم رد "الجزار" على رسائله بتمزيق الأولى وقطع رأس المبعوث الثاني، إلا أنه «قرر أن يلحق الجزار درسا فزحف بالجيوش حتى بلغ أسوار المدينة، خيم هناك وبدأ في قصف الجدران بقذائف المدافع، قصف الأسوار آناء الليل وأطراف النهار، ولكنه لم يفلح في تدمير حجر واحد من أسوار عكا الخرافية برغم كثافة القصف»¹.

واعترف بهزيمته بعد وفاة ترجمانه الفردوسي بعد إصابته بوباء الطاعون، وهذا لا يعني انهزاميته لأنه لم يعترف بعد بهزيمة "أبي قير" التي ألحقها به "نلسون" الانجليزي، بل اعتبرها قربانا محتكما إلى سيرة الملك اليوناني مع الفرعون المصري الحكيم، مؤكدا على أن:

«قربان الملك اليوناني كان خاتما مرصعا بالجوهر، وقربان نابليون كان قربانا بشريا، قربان الملك فكان زائفا، ولهذا استحق استنكار الآلهة، أما قربان نابليون كان حقيقيا، ولهذا استحق إكبار الآلهة ! فلماذا لا تجبر هؤلاء الجنرالات البلهاء أن ييشروا ويفرحوا ويقرعو طبول النصر بدل أن يعبسوا في وجهي كأثم عصابة اليوم؟ لماذا لا تخبرهم بأن النصر لا يسكر إلا البلهاء؟»².

فلاحظ هذا التعصب الطموح الدائم للنجاح والذي يكاد يكون هوسا وجنونا، فالغاية عنده تبرر الوسيلة فلا تهمه الأرواح التي أزهقت ولا الخسائر بل يعتبرها قربانا متأملا وطامحا في نجاحات لاحقة. ولم تكن عزيمته حتى الرسالة التي وصلته من فرنسا، الرسالة اليتيمة التي تطلب منه الاتجاه شرقا لا من أجل النصر بل لكي «يذهب نابليون بالجيوش بعيدا»³، هذا ما فهمه نابليون من الرسالة فقرر العودة إلى فرنسا سرا لينتقم ممن خذله.

ونجح في ذلك وأصبح قنصلا أولا، ولم يتخل عن مصر بل ترك فيها من يخلفه ليمد الحملة على مصر بما تحتاجه، فأرسل أسطولا ليحط بدرنة، بموافقة "يوسف باشا" لكن هذا الأخير وأمام ضغوط

¹ - المصدر السابق ، ص151.

² - المصدر نفسه، ص53.

³ - المصدر نفسه، ص152.

الأستانة لم ينبه بك درنة بل أرسل له برسالة غامضة نال من ورائها رضا الأستانة والانجليز من جهة، وفرنسا من جهة أخرى بعد أن ألقى اللوم على بك درنة وقام بإعدامه.

4_علي برغل:

ورد "علي برغل" في الرواية كشخصية استذكارية فوضت على يوسف باشا أيماء ولياليه فهو العدو اللدود واللاجئ عند المصريين الذين دفعوا ثمن إيوائهم لهذا اللوطي كما يحلو ليوسف باشا تسميته، ويتمثل هذا العقاب في الحملة الفرنسية على مصر بزعامة نابليون بونابرت الذي ساعده يوسف في حملته على مصر بالطعام والذخيرة، كما أسهم في عملية تواصل الحملة مع فرنسا بها أوتي من قوة رغم معارضة الشعب والأستانة.

ونجد أن هذه الشخصية تحمل عدة ألقاب فهناك من يسميه علي بن زول، ومن يسميه علي بن زور ولكل تسمية أسباب ودوافع، وسمي علي برغل «لأنه أطعم جنوده البرغل عندما انقطع وصول الأرز من مصر إلى طرابلس»¹.

وتعود تسمية علي بن زور إلى كونه زور فرمان السلطان العثماني لدخول طرابلس والاستيلاء على عرشها، كما يقال ويظهر هذا التعدد في التسمية على لسان صاحب البندقية وصاحب المكوس في حديثهما أثناء أداء عملهما: قال صاحب المكوس: «يحدث كل هذا بفعل مسخ اسمه علي برغل! ساد صمت تنهكته حوافر الجواد في ارتطامها بحجارة الدرب.

قال صاحب البندقية:

يروى أن اسمه الحقيقي هو علي بن زور وليس علي بن زول كما ظننا يوما»².

ويؤكد هذا التعدد في التسمية الوصف الذي يطلق على علي برغل وهو المسخ دليل على أنه يصعب الإمساك به لكثرة أسمائه التي لا يعرف أيها أصح، ويزيد هروبه وفراره من قبضة يوسف باشا

¹ - نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا، تر: عماد حاتم، ص 139-140.

² - إبراهيم الكوني، يوسف بلا أخوته، ص 15.

وأخوه أحمد والجيش التونسي والالتجاء بماليك مصر ثم "بجزار عكا" بعد استيلاء نابليون على مصر.

ويجسد هرب علي برغل وخوف يوسف باشا من عودته على مكانته وقوته ورفعته التي منحها إياه اسمه علي ويعني: «الرفيع، علي الشأن... ورجل علي أي شريف»¹.

ويمكن أن نوافق هذا التعريف فيما يخص علو الشأن لكن الشرف قد طعنه صاحب المكوس والباي حمودة باعتباره مسخا، وزاد يوسف باشا على ذلك باعتباره «لوطي مدعوم من الأستانة»²، وأكدت على ذلك تسميته علي بن زور بدلا من علي بن زول أو علي برغل، وهو رمز الخيانة والخداع.

5_ الرئيس مراد:

يلعب الرئيس مراد دور وزير ورئيس البحرية الطرابلسية واليد اليمنى ليوسف باشا وصهره وزوج ابنته، ويتكون هذا الاسم من كنية "الرئيس" وهي لفظة عامية مأخوذة من الفصحى "الرئيس"، وتنحدر هذه الكلمة من الاصل "رأس" وهو قمة كل شيء وبالتالي يكون الرئيس مراد هو رأس قادة البحرية ومن خلاله يصل إلى يوسف باشا ويؤكد هذا توكيل يوسف باشا الرئيس مراد بمقابلة كاثكارت قنصل الو.م.أ، بطرابلس والاتفاق معه.

ويرتبط الاسم بالعتو والإقبال وأصل مراد «من مرد، مرد على الأمر: أقبل وعتا.

والمراد: الغاية والطلب من راد وأراد، الإرادة التصميم على ففعل.

والمرید: الخبيث المستمر والشرير، ومراد أيضا من التمرد، ومرد الشيء: لينه»³.

ويظهر هذا الاقبال والغاية والطلب والتصميم في اعتناقه الاسلام من أجل التسلسل «إلى مخدع الأسرة المالكة على عادة نصارى ذلك الزمان فلم يحقق هذه الأمنية وحدها، ولكنه صار يد الباشا

¹ - حسن نور الدين، الأسماء العربية ومعانيها ومدلولاتها، ص243.

² - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته، ص153.

³ - حسن نور الدين، الأسماء العربية ومعانيها ومدلولاتها، ص304.

اليمنى في كل ما له صلة، بمملكة البحر»¹، وتسلكه هذا وحصوله على مراده هو ما يثبت الخبث الذي يتسم به اسمه، والتمرد الذي صرح به علنا أمام قنصل الو.م.أكاتكارت عند مقابلته إياه بطلب من الباشا إذ يقول:

«بلى اخترت اسم مراد لأنه البطل الوحيد الذي استطاع أن يخرب إيرلندا، لأني لا أكره شيئا في هذه الدنيا كما أكره إيرلندا»²، فتمرده لم يمس اعتناقه للإسلام فقط كما ذكرنا بل البلد الذي تحدر منه "بيتر ليزلي" الذي اختار لاسمه اسم "مراد" فكان بذلك متمردا حتى على اسمه "بيتر ليزلي".

ويجب يوسف باشا مناداة رئيس بحريته بكنية العليج وهي تسمية تطلق على الأجانب الذين يعتنقون الإسلام ويتقربون للحكام بالزواج من بناتهم للوصول إلى السلطة.

فلاحظ اتفاقا واضحا بين الاسم "مراد" وسلوك صاحبه وهو الخداع والمراوغة للحصول على ما يريد.

6_المسيو "غيس":

يتمثل دور المسيو "غيس" في كونه قنصل فرنسا لدى المملكة الطرابلسية، وهمزة وصل بين نابليون بونابرت ويوسف باشا، ويعود اسم العلم "غيس" إلى أصل فرنسي، وورد هذا الاسم ملحقا بكنية "المسيو" التي سبقت اسم العلم "غيس"، وتطلق هذه الكنية على الرجال وعناها السيد، وتندرج ضمن ألفاظ وصيغ اللباقة التي يستعملها الغرباء والأقل مرتبة أو الأصغر سنا لمن هم أكبر منهم مرتبة أو سنا.

ونعثر أيضا على بديل الاسم والمتمثل في لفظة "القنصل" الدلالة على مهنة المسيو "غيس"، ويعرف القنصل بأنه: «النائب عن دولة في دولة أخرى يرعى حقوقها وتجارتها ويدافع عن رعايتها»³.

¹ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا إخوته ، ص206.

² - المصدر نفسه، ص209.

³ - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ص715، ع1.

ويظهر هذا من خلال التقديم الذي خصه الراوي للمسيو "غيس" بقوله: «خرج المسيو "غيس" قنصل فرنسا لدى المملكة الطرابلسية من دار القنصلية في طريقه إلى قصر السراي للمثول بين يدي الباشا»¹.

ويعود سبب ذهاب القنصل إلى علاقات الباشا هو نقل رسالة نابليون للباشا، والتي زرعت في قلبه خوفاً لم يستطع حتى ترجمانه من التخفيف منه، ويظهر هذا في: «هون الترجمان: لقد تحدثنا منذ قليل عن دهاء الباشا، وهذا الدهاء هو ما سيزين في عينيه الاستجابة مادام نابليون ينوي بأساطيله احتلال مصر لا طرابلس!

شكك القنصل:

قد يستجيب الباشا بحكم غريزة الدفاع عن النفس، ولكني أخشى ألا يستجيب أهل الباشا!»².
ويظهر هنا خوف القنصل غيس على مصالح رعيته من غضب سكان طرابلس وأهل الباشا.

7_الترجمان المالطي "دورو"

يتركب هذا الاسم (الترجمان المالطي "دورو") من ثلاثة ألفاظ، يشير أولها إلى المهنة التي يمتثلها المالطي "دورو" الترجمة، وتشير ثاني لفظة إلى المكان أو الأصل الجغرافي الذي ينحدر منه الترجمان "دورو"، وجاء عن الكنية المهنية والمكانية اللتان ألحقتهما به.

وتكررت كنية الترجمان مفردة أكثر من الاسم الثلاثي المركب "الترجمان المالطي "دورو"، الذي ورد أثناء التقديم لهذه الشخصية والتي جاءت مرتبطة بظهور شخصية المسيو "غيس"، القنصل الفرنسي بطرابلس، واختفت المعلومات عن شخصية "دورو" لتعود من جديد.

¹ - إبراهيم الكوني، يوسف بلا أخوته، ص35.

² - المصدر نفسه، ص40.

فيطلعنا الراوي بأن «"ناودي أكرافيه"، الملقب بـ "دورو"، كان قد فر أيضا من وطن شبيه بوطن لزلي وهو مالطا دون أن يساوره أدنى شك في سر كراهيته لهذا الوطن الذي لن يكون سوى كونها جزيرة»¹.

فيتضح لنا أن "دورو" ليس الاسم الحقيقي للترجمان المالطي بل "ناودي أكرافيه"، ويد هذا التغيير في الاسم إلى تغيير السلطة على مالطا من الإنجليزية إلى فرنسية، وتغير مهنة هذا المالطي كذلك من ساعاتي إلى ترجمان ثم إلى ساعاتي من جديد ليعود إلى وظيفة الترجمان بفضل المسيو بوسيه، القنصل الجديد والذي جاء بديلا للمسيو "غيس".

ويعود السبب الثاني لتغيير الاسم من "ناودي أكرافيه" إلى "دورو" للكراهية التي يحملها "دورو" لوطنه الأصلي وتنكره له واعتباره وليد خطيئة ما للطبيعة، وسيأتي يوم لتكفي فيه الطبيعة عن خطئها بإعادته لأعماق البحر.

¹ - المصدر السابق، ص 212-2013.

III_شخصية البطل:

1_مواصفة خلافة:

يقصد فيليب هامون من المواصفة الخلافة أن «تكون الشخصية سند المجموعة من المواصفات التي هي محرومة من الشخصيات الأخرى، أو تملكها بدرجة أقل»¹، ونفهم من هذا أن الشخصيات تمتاز من جهة المواصفات التي يمنحها لها الكاتب، فنجد أن شخصية ما تملك مواصفات أكثر من الأخرى أو العكس، وسيحدد لنا الجدول التالي مواصفات كل من يوسف القرماني وأحمد القرماني:

يوسف القرماني	أحمد القرماني
-مصور على أنه قاتل ومتمرد.	-مصور على أنه سكير وانهمزامي.
-ينسب إلى عائلة القرماني.	-ينسب كذلك إلى عائلة القرماني.
-يلقب بالباشا والسيد المولى.	-حرم من لقب البك والباشا واحتفظ بلقب السيد والمولى.
-له علاقة غرامية مع ابنة عمه وتزوج منها.	-له علاقة غرامية مع زوجته التي استولى عليها أخاه يوسف.
-غني (باشا طرابلس).	-فقير لاجئ لتونس ثم مصر.
-قوي.	-ضعيف.
-الابن الأصغر لعلي القرماني.	-الابن الأوسط لعلي القرماني.

نلاحظ من خلال الجدول أن شخصية يوسف باشا هي البطلة كونه يحمل الباشا الذي سمح له بامتلاك ثروة وزوجة وصغر سن منحه القوة اللازمة لمجابهة خصومه بحكمة وذكاء.

¹ - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ص 93.

2- توزيع خلافي:

يتعلق الأمر هنا حسب فيليب هامون «بنمط تركيزي كمي وتكتيكي»¹، ويقصد بالتركيزي المعلومات المقدمة عن الشخصية البطلة وكميتها التي تكون مركزة وفق خطة ممنهجة يضعها الكاتب نوضحها بالجدول الآتي:

يوسف القرماني	أحمد القرماني
-ظهر في اللحظات الحاسمة (البداية/ النهاية) – اللهجات البحرية للإنجليز والولايات المتحدة الأمريكية، وتمرد بعض القبائل على الحاكم (يوسف القرماني). -ظهر مستمر من البداية إلى النهاية. -تعاقد بدئي مع نابليون وقناصل الدول الأجنبية.	-ظهور في لحظات هامة بداية ونهاية الحكاية ودخل المقاطع الحكائية وفي أماكن موسومة شاطئ البحر، والانتقال من طرابلس إلى تونس إلى مالطا ثم إلى مصر. -ظهور على فترات. -تعاقد بدئي مع باي تونس.

ظهر يوسف القرماني في بداية الرواية في كلام أخيه أحمد بك، وظهر أيضا في المجالس التي عقدها مع وزرائه، وقناصل الدول الأجنبية، ورغم بقاءه في حيز مكاني واحد (السراي الحمراء) إلا أن حضوره كان أكثر من حضور أخيه أحمد بك وخاصة فيما يتعلق بالمواقف الحاسمة (اللهجات البحرية للإنجليز والولايات المتحدة الأمريكية وتمرد بعض القبائل على الباشا، وخواء الخزينة).

¹ - المرجع السابق، ص 95.

3_تحديد عرفي مسبق:

ويتم هذا التحديد عندما يكون الباحث والمُلتقى من نفس الثقافة «فالنوع يشتغل كسفن مشترك بين الباب والمرسل»¹، فمن منا لا يعرف نابليون بونابرت وحملته على مصر هذه الشخصية التاريخية التي كتبت اسمها بحروف من ذهب في سجل التاريخ، ويدفع هذه المعرفة المسبقة بنابليون بونابرت بالباحث (المؤلف) ليقوم «بتقليص وتحديد أفق انتظار هذا الأخير من خلال فرضه خطوطاً ضعيفة المقاومة (توقعية مطلقة)»².

ويظهر هذا التحديد المسبق في توظيف "إبراهيم الكوني" لشخصية نابليون بونابرت، والذي نجده لم يجد عما نقلته لنا كتب التاريخ انطلاقاً بنابليون بونابرت بحملته على مصر من ميناء طولون واستيلائه على جزيرة مالطا ومساعدة يوسف القرمانلي باشا طرابلس له في مالطا ومصر، والهزيمة التي لحقت بجيش نابليون في معركة "أبي قير" التي تدخل فيها الإنجليز بقيادة "نلسون"، وعودة نابليون سرا إلى فرنسا وتقلده منصب القنصل الأول، وغيرها من الأعمال التي قام بها نابليون بونابرت ورد ذكرها في متن الرواية ومنها ما لم يرد.

وينطبق نفس الحديث على شخصية يوسف القرمانلي وأحمد بك، والوالد وغيرها من الشخصيات التي أثرت التاريخ الليبي خاصة والعالمي عامة، فتكون بذلك الرسالة (رواية "يوسف بلا أخوته") مقيدة بسنن وشفرا حددها الباحث (المؤلف) انطلاقاً من التاريخ الليبي والتي لا يمكن ليغير قارئ هذا التاريخ أن يفك طلاسمها ويفهمها حق الفهم.

4_التحديد من خلال التعليق الصريح:

يرتبط التعليق بمنظور النص وعلى التحليل أن يحدد الأماكن التي طرح فيها منظوره الخاص في تحديد البطل «ويسمى البطل بطلا والخائن خائناً، وأن يقوم هذا الفعل أو ذاك كفعل خير أو كفعل شر»³، ونجد هذا التحديد بارزاً في الحوار الداخلي "لأحمد بك" والذي يتحدث فيه عن مآله بعد أن

¹ - المرجع السابق، ص 102.

² - المرجع نفسه، ص 102.

³ - فيليب هامون، مرجع سابق، ص 103.

خان الضمير وفي المقابل ما ناله أخوه "يوسف باشا" لأنه أَمَاتَ ضميره بقتله أخاه "حسن بك" وانتهى إلى أن «الله لا يبالي بجرائم الأشرار لأنه غسل يديه منهم ولم يعد يهمه من أمرهم شيئا، في حين يتولى أمر الأخيار باستنزال صنوف القصاص ليردعهم مستخدما تلقين الدروس لا لشيء إلا أنهم أخياره ولأنهم يريدونه؟»¹، فنجد في هذا الحوار الداخلي لأن الذي جاء على لسان الراوي تصريحاً بالشرير والخير، "فيوسف باشا" شرير غسل الله يديه منه ولم يعد يهمه أمره، أما "أحمد بك" فخير أنزل به الله سبحانه وتعالى أصناف العذاب حتى يعود للصواب.

ونعثر في حوار "يوسف باشا" الداخلي أيضا على نفس التصنيف للخير والشرير في حديثه عن "نابليون بونابرت" الذي يريد الصدر الأعظم والإنجليز منه أن يحاربه، وعن "علي برغل" الذي يأويه المماليك بمصر معتبرا "نابليون" الرسول المخلص من شرور "علي برغل" فيقول على لسان الراوي "البلهاء الذين يتشدقون برفع رايات الجهاد والزحف على نابليون لا يدرون أن مخططات برغل، ومخططات المماليك الذين يقفون وراء برغل، لم تفشل إلا بقدر اسمه نابليون"².

فلاحظ أن القدر الذي يلعبه "أحمد بك" لأنه وقف بينه وبين الباشوية عند ما أبي أن يخون ضميره، وفي المقابل وقف مع "يوسف باشا" فأجلسه على كرسي العرش، قد عاد من جديد ووقف مع "يوسف باشا" القاتل لضميره ولأخيه "حسن بك" وجاء مجشدا في "نابليون بونابرت" الذي خلصه من شرور "علي برغل" الذي احتضنه المماليك بمصر.

¹ - إبراهيم الكوني، "يوسف بلا أخوته"، ص 10.

² - المصدر نفسه، ص 119.

خلاصة الفصل الثاني:

نخلص من دراسة اسم العلم الشخصي وشخصية البطل في رواية "يوسف بلا أخوته" بأن الأسماء أحد المفاتيح التي يمكن أن نلج بها إلى عالم الشخصية الروائية، وهو من أهم أدوات الاتساق والانسجام النص الروائي، لأن اسم العلم هو الذي يعمل على ربط السمات المتناثرة للشخصية عبر نص الرواية، وتمثل شخصية البطل خير مثال على ذلك فهي تتحدد من خلال المواصفات الخلافية التي تميز بين صفات الشخصيات، والتوزيع الخلافي للمعلومات المقدمة عن بطل الشخصية والتحديد العرفي المسبق للشخصية والذي يحدد الوجود التاريخي للشخصيات، والتحديد من خلال التعليق الصريح لبعض الشخصيات عن الشخصيات الأخرى.

خاتمة

نخرج من بحثنا هذا في الأخير بعدة استنتاجات حول العلاقة بين الرواية والتاريخ، وعن الرواية التاريخية وعن منهج "فيليب هامون" وعن شخصيات رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني وكيفية استدعائه لها، نوردها في:

أن العلاقة بين الرواية والتاريخ هي علاقة تكامل لأن الرواية هي تاريخ لحاضر سيصبح في المستقبل ماض، سيعمل المؤرخ في البحث فيه والتأكد من صحة ما جاء فيها بوساطة التحليل والتفسير، وتعد الرواية أيضا طريقة جديدة في كتابة التاريخ من أجل تحييبه في أنفس الناس والقراء، فنجد أن الروائي يأخذ من التاريخ عينة يعيد إحيائها من جديد في قالب فني جمالي يبعث في نفس القارئ حب مطالعة التاريخ، فجاءت الرواية التاريخية التي اختلف النقاد حول تسميتها لكنها فرضت نفسها أمام تعدد الاصطلاحات التي اقترحوها كابن شرعي نتج عن علاقة الرواية بالتاريخ، ويرجع سبب عودة الروائيين للتاريخ بصفة عامة والرواية التاريخية بصفة خاصة للظروف المأسوية، التي تعيشها بلدانهم تحت وطأة الاحتلال الأجنبي أو طغيان الحكام، ونعثر في رواية "يوسف بلا أخوته" والواقع الليبي الذي رافق ميلاد هذه الرواية على نفس الأوضاع التي عاشها الشعب الليبي إبان حكم يوسف القرماني، والمتمثلة في سوء الأوضاع الاجتماعية أمام تسلط الحكام الذين يحاولون السيطرة على السلطة على حساب الشعب.

واعتمادنا منهج "فيليب هامون" في تحليل شخصيات الروايةمكننا من إضاءة بعض جوانب الشخصيات التي تناولناها كالتأكد من مرجعيتها التاريخية كشخصية "يوسف القرماني" وحاشيته، وشخصية "نابليون بونابرت" كذلك، فالمعرفة المسبقة بهذه الشخصيات تساعدنا في معرفة دورها داخل الرواية، هذا الدور الذي لم يحد الروائي عنه بل التزم به كما ورد في كتب التاريخ، ويتضح ذلك جليا من خلال مواصفات الشخصيات ووظائفها، وأكدت لنا دراسة دوال الشخصيات من خلال "اسم العلم الشخصي" مقولة "من اسمك تعرف نصيبك" فمن خلال دلالة الأسماء والحروف الأولى للاسم تمكنا من معرفة الشخصيات وما ستؤول إليه، وساعدنا تحديد بطل الرواية في معرفة الدور الذي يلعبه داخل المتن الروائي والمتمثل في ربط عناصر الرواية (الأحداث والزمان) فضلا عن الشخصيات الأخرى، فشخصية "يوسف باشا" مرتبطة بحكم ليبيا في القرن الثامن عشر من جهة، ومرتبطة بالشخصيات السياسية والعسكرية آنذاك كشخصية "نابليون بونابرت" و"جفرسون" رئيس الولايات

المتحدة الأمريكية، وشخصيات قناصل الدول كقنصل فرنسا والانجليز والاسبان ومبعوث الأستانة، فضلا عن علاقته بأخوية "حسن" و"أحمد" وأبيه "علمي القرماني".

ونصبو في الأخير أن تتناول الدراسات اللاحقة بعض الشخصيات التي أهملناها في بحثنا أو تطبيق منهج "فيليب هامون" على هذه الشخصيات، أو دراسة جوانب أخرى كالحوار والزمكان والأيدولوجيا والفكر الذي تبنته بعض الشخصيات كشخصية نابليون بونابرت ويوسف القرماني.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

I. المصادر:

إبراهيم الكوني، يوسف بلا أخوته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1، 2008م.

II. المعاجم:

1_ إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقص، الجمهورية التونسية، ط 1، 1986م.

2_ حسن نور الدين، الأسماء العربية ومعانيها ومدلولاتها، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2004م.

3_ مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 2، 1984م.

4_ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط دار الدعوة، القاهرة، مصر، ط 2، 1982م.

5_ محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1999م.

6_ نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، أدبيات، مكتبة لبنان ناشرون، لونغمان، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.

7_ سعيد علوش، معجم المصطلحات العربية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 1، 1985م.

III. المراجع:

أ_ المراجع العربية:

1_ أحمد فضل شبلول، الحياة في الرواية العربية، قراءات في الرواية العربية والمترجمة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، د ط، د ت.

- 2_ بهاء الدين محمد مزيد، زمن الرواية العربية، مقدمات وإشكاليات وتطبيقات، الشارقة دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، ط 1، 2001م
- 3_ وليد بن حمد الذهلي جمالية، الصحراء في الرواية العربية، إبراهيم الكوني أنموذجاً، دار جرير للنشر والتوزيع، ط 1، 2013.
- 4_ حسن أحمد نفلة، التحليل السيميائي للفن الروائي، دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، دار الكتاب والوثائق العلمية، الاسكندرية، مصر، د ط، 2012م.
- 5_ محمد أسد الله صفاء، نابليون، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1988م.
- 6_ عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2003م.
- 7_ عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط 1، 2011م.
- 8_ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998م.
- 9_ عبد الرحمن بوعلي، الرواية العربية الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 37، سلسلة بحوث ودراسات رقم 11، وجدة، المملكة المغربية، د ط، 2001م.
- 10_ فاطمة قدور الشامي، علم التاريخ تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.
- 11_ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2002م.
- 12_ فتحي بوخالفه، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط 1، 2010م.

13_قاسم عبد قاسم، الأدب والتاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط 1، 2007م.

14_رأفت غنيمي الشيخ، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، د ط، 2015م.

15_شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م.

ب_المراجع المترجمة:

1_بيير شاريتيه، مدخل إلى نظريات الرواية، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 2001م.

2_والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، تر: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 1998م.

3_نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 2، 2001م.

4_فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

5_فلاديمير بروب، موفولوجية القصة، تر: عبد الكريم محسن وسميرة حموة، شارع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 1996م.

6_شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط 3، 1994م.

ج- الكتب الإلكترونية:

1_جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 2، 1986م.

2_ محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي والمقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، مصر، د ط، د ت، www.al_mostafa.com.

3_ سمر روجي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، مقاربات نقدية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2003م، http://www.awu_dam.org

IV. المجالات:

1_ إدريس الخضراوي، المتخيل ومفارقات الهوية، في كتاب الأمير لواسيني الأعرج، فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر العدد 71، صيف، خريف، 2007م.

2_ كاترينا ميليتش، تغييرات التاريخ، أو كتاب الضحك والنسيان، تر: أمل الصبان، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد 67، صيف_ خريف، 2005م.

3_ نواف أبو ساري، الرواية التاريخية جنس أدبي جديد في الأدب العربي الحديث، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد 23 جوان 2005م.

V. المواقع الإلكترونية:

1- إميل سمعان، مقال الحروف العربية، صفاتها، ومعانيها، الثلاثاء 14 أبريل 2015م. Emil/esemaan@gmail.com.

المحتوى

المحتوى

شكر وعرافان

مقدمة:.....أ-ج

أولا: مدخل: الرواية والتاريخ:

I. العلاقة بين الرواية والتاريخ:.....6

1_ من حيث النشأة.....8-6

2_ من حيث الموضوع.....9-8

3_ من حيث الهدف.....10

II. الرواية التاريخية:.....11

1_ مفهوم الرواية التاريخية.....13-11

2_ نشأة الرواية التاريخية.....15-13

3_ أدوات توظيف الرواية للتاريخ.....17-15

4_ أهداف توظيف الرواية للتاريخ.....19-17

خلاصة.....20

ثانيا: الفصل الأول: مدلول الشخصية في رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني.

تمهيد.....23-22

I. الوجود التاريخي لشخصيات "يوسف بلا إخوته".....23

1_ إثبات تاريخية الشخصيات من خلال الرواية.....25-23

2_ إثبات تاريخية الشخصيات من خلال كتب التاريخ.....27-25

II. مدلول الشخصية في رواية "يوسف بلا إخوته".....	27
1_تقسيم الشخصيات حسب فيليب هامون:.....	28-27
أ_ فئة الشخصيات المرجعية.....	28
ب_ فئة الشخصيات التكرارية.....	28
ج_ فئة الشخصيات الاستذكارية.....	30-29
2_المحاور الدلالية:	31-30
أ_مواصفات الشخصيات.....	35-31
ب_وظائف الشخصيات.....	39-35
خلاصة الفصل الأول.....	40
ثالثا: الفصل الثاني: دال الشخصية في رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني.	
تمهيد.....	42
I. تحليل العنوان:.....	44-43
II. أسماء العلم.....	45-44
1_يوسف القرماني.....	47-45
2_أحمد القرماني.....	49-47
3_نابليون بونابرت.....	51-49
4_علي برغل.....	52-51
5_الرئيس مراد.....	53-52
6_المسيو "غيس".....	54-53
7_الترجمان المالطي "دورو".....	55-54

III. شخصية البطل:	56.....
1_ مواصفة خلافية	56.....
2_ توزيع خلافي	57.....
3_ تحديد عربي مسبق	58.....
4_ التحديد من خلال التعليق الصريح	59-58.....
خلاصة الفصل الثاني:	60.....
خاتمة	63-62.....
قائمة المصادر والمراجع	68-65.....
المحتوى	72-70.....
ملخص	

ملخص المذكرة

تقوم دراستنا هذه حول موضوع «استدعاء الشخصيات التاريخية في رواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني -سيمائية فيليب هامون أنموذجا-»، ويحيلنا هذا الموضوع على عدة مفاهيم منها: الاستدعاء والشخصيات التاريخية، ورواية "يوسف بلا أخوته" لإبراهيم الكوني، وسيمائية فيليب هامون، ويتمثل الاستدعاء في الكيفية التي يعيد بها الراوي إحياء واستدكار الشخصيات التاريخية التي وردت في رواية "يوسف بلا أخوته"، ولأن هذه الشخصيات تاريخية فهي تندرج ضمن فئة الشخصيات المرجعية، التي تحدث عنها "فيليب هامون" في تقسيمه للشخصيات الأدبية عامة والروائية خاصة، وهذا لا يعني عدم وجود شخصيات تكرارية واستدكارية، لأنه يوجد بعض الشخصيات التي تبناها إبراهيم الكوني في استدعاء شخصياته، قسمنا بحثنا هذا إلى ثلاث أقسام، مدخل نظري "الرواية والتاريخ"، فصلين تطبيقيين أولهما عالجنا فيه مدلول الشخصية في رواية "يوسف بلا أخوته"، وفي الثاني تناولنا دال هذه الشخصيات من خلال اسم العلم الشخصي وتحديد البطل.

وانتهينا بعد استنتاجات أهمها أن الروائي إبراهيم الكوني لم يحد عن المرجعية التاريخية لشخصيات روايته، ويتمثل الاستنتاج الثاني في أن منهج فيليب هامون حول سيمائية الشخصيات الروائية ملائم لمثل هذه الدراسات التي تتناول الشخصية في الأعمال الأدبية والروائية.